٦٠

مجلة
روايات أحلام

# العريس: لا أحد

www.elromancia.com

مرمورية

# مجلة روايات أحلام

## العريس: لا أحد

من يستطيع أن يكسب رهاناً عندما يتعلق الأمر بمزاجية القلب؟ وصلت أوفيليا إلى جزر البهاما مع خطيبها لتتعرف إلى أهله وهناك التقت أخاه ڤيرن، الذي لم يُخفِ أنه يراها صائدة ثروات ولم يكتف بذلك بل حاول إغوائها كي يبعدها عن أخيه.

وقاومت إيدن بعكس الريح، لكن لم تساعدها لا تصرفات خطيبها الأنانية، ولا مشاعرها التي راحت تخونها كلما اقترب منها ڤيرن.

ومع اقتراب موعد العرس، بدأت ايدن تجد نفسها عروساً وحيدة، ولا عريس...


| | | | |
|---|---|---|---|
| لبنان ٢٠٠٠ ل.ل. | الإمارات ٦د. | مصر ٤ج. | ليبيا |
| سوريا ٥٠ ل.س. | قطر ٦٠٠ر. | المغرب ١٥د. | اليمن |
| الأردن ١ د. | البحرين ٦٠٠ف. | تونس ١,٥د. | السودان |
| الكويت ٥٠٠ف. | السعودية ٧ر. | عمان ٦٠٠ب. | العراق |

# ١ ـ عينان لا تفارقانها

لم تشأ إيدن أن يعرف الرجل الجالس قربها إن كانت تتوق إلى هذه الرحلة أم لا، كما لم تشأ أن يعرف أنها أعادت النظر ملياً في أمر رحلتها هذه، التي الغاية منها التعرف إلى عائلته، ولكن لم يسبق أن خشيت إيدن لقاء إنسان ما كما تخشى هي الآن لقاء عائلة غريفت هوفمان.

عائلته، تعني أخاه غير الشقيق وجدته العجوز التي هي كما يقول غريفت من النوع المتغطرس المستبدّ، وهي غير راضية عن مسلكه لأسباب مختلفة، ولكنه على الرغم من رأيها به يصرّ على أنها مهيبة رائعة.

وهذه الجدة تركت موطنها إنكلترا منذ أن كانت فتاة صغيرة، وعاشت ما يقارب الثمانين سنة في جزر البهاما، غير أنها ما تزال تعتبر نفسها امرأة إنكليزية أرستقراطية.. أما ڤيرن هوفمان، شقيق غريفت الأكبر، فهو بحسب قوله يملك عجرفة وكبرياء أسلافه الهوفمان.

توقعت إيدن التي لم تكن تدّعي أن في عروقها دماً أزرق أن تجد هذه العائلة المتسلطة الأرستقراطية مرهبة للنفس أكثر فأكثر، خاصة وأن عائلتها متواضعة، ولقاؤها غريفت أشبه بإلقاء نظرة على عالم مختلف كل الاختلاف، وما شاهدته من هذا العالم

حتى الآن يعتبر غريباً مثيراً.

إيدن، كما لا شك في الأمر، تجتذب نظر أي رجل بشعرها الأحمر القاتم وعينيها الخضراوين، وليس غريفت هوفمان ممن يترك فرصة كهذه تفوته. وقد حدث أن شاهدته للمرة الأولى حين دخل إلى المكتبة التي تعمل فيها، ومنذ ذلك اليوم أصبح من زائري المكتبة الدؤوبين. وتعدّد الزيارات، قاد بشكل حتمي إلى اللقاء خارج العمل، ومن هناك تطورت الأمور بشكل طبيعي.

فُتنت به عائلتها وكيف لا يكون ذلك وهو قادر على فتنة الطيور على أشجارها. لم يُبدِ أحد منهم شكوكاً بشأنه إلا أخاها الأكبر الذي ارتاب في أمر سفرها الطويل معه دون خطوبة رسمية معلنة. مع أن والديها لم يجدا مبرراً للحذر، وكما أشارت والدتها، المسألة لا تتعدى خاتم الخطوبة ليصبح الأمر رسمياً.

كما أن غريفت، إضافة إلى وسامته وسحره، هو شاب ثري، وهو بهذا خطيب مناسب لأية فتاة. وبما أن إيدن تعرفه منذ ثلاثة أشهر، لم يبالِ أحد بشكوك أخيها الأكبر «أوك»، فلقد كان يبالغ دائماً في حماية إيدن.

مرّت إيدن بالإجراءات الرسمية في المطار وهي مبهورة دهشة، وما إن انتهت هذه الإجراءات حتى أحضر غريفت سيارته التي قادها على طريق عريض مغبر على جانبيه حقول الأناناس القليلة الارتفاع.. أدار رأسه لحظة ينظر إليها، ثم مدَّ يده ليضغط على يديها المتقلصتين في حضنها، والتمعت عيناه الزرقاوان وهو يبتسم لها، مشجعاً إياها على الابتسام:

ـ ما زلت لا أصدق أنك هنا.

كانت لكنته غريبة بعض الشيء وهي لا تستغرب ذلك لأن



نسبه أكثر غرابة، فوالده إنكليزي فيه عرق إيطالي وأمه فرنسية فيها عرق ألماني، وقد قتلا في حادث سيارة منذ سبع سنوات، حين كان هو في السادسة عشرة، فتُرك تحت عهدة جدته لأبيه وأخيه الأكبر منه بكثير ڤيرن.

عاد ليضغط على يديها ثانية، محاولاً النظر إلى وجهها:

ـ هل أنت متوترة إيدن؟

نظرت إليه بطرف عينيها، ووجدت نفسها تقول بصدق:

ـ بل أنا خائفة حتى الموت.. ماذا تتوقع مني يا غريفت بعدما نقلتني هذه النقلة لألتقي بـ...

قاطعها بابتسامة:

ـ بعائلتي.. أتمنى أن تناديني «غريف» فاسم غريفت يوحي إليَّ بأنني أحد اللوردات القدامى..!

ـ أحب اسم غريفت.. ألم تقل بنفسك إن عائلتك تكره سماع اسمك مختصراً. وإن سمعاني أناديك «غريف» حينما أصل أكن بذلك قد بدأت بداية خاطئة معهما.

ضحك على التعابير التي كست وجهها:

ـ أوه.. دعك من هذا حبيبتي.. لن يأكلك أحد! لن تسيء جدتي استقبالك لأنها تؤمن بما تفرضه النبالة وسموّ المنزلة.. أما ڤيرن فهو رجل بما للكلمة من معنى، ولن يرغب في ملاحقة فتاة جميلة مثلك لأنك خارج نطاق عمره! لا تخشيه فنباحه يفوق عضه!

لكن إيدن كانت قلقة فعلاً خاصة بعدما أوحى غريفت أن ڤيرن أكثر مهابة من العجوز. نعم هي تعرف أن امرأة عجوز تجاوزت الستة وثمانين عاماً قد تكون متسلطة، لكنها لن تكون

أكثر تسلطاً من حفيدها الأكبر.

ڤيرن هوفمان، يدير أعمال العائلة منذ وفاة والده ووالد غريفت منذ سبع سنوات.. وهو من أصرَّ على سفر غريفت إلى لندن، استجابة لرغبة والدته، وإطاعة غريفت له دليل وافٍ على أنه رجل رهيب. لم تستطع إيدن إلا أن تفترض بأن ڤيرن لن ينظر فقط بعين الريبة إلى فشل أخيه في نيل مؤهلات علمية خاصة، بل سيربط فشله هذا بمرافقته لفتاة غريبة يتوقع من العائلة القبول بها خطيبة له.

أما هي فتتوقع انضمام غريفت الآن إلى إدارة عمل العائلة بعد أن أنهى تحصيله العلمي، ولكن لغريفت تطلعات أخرى، فطموحه يتجه إلى الموسيقى، علماً أنه لا يعرف بالتحديد نوع المهنة الموسيقية التي يرغب فيها وربما اصطحبها معه لتعينه على مواجهة خطط أخيه.

التفت مرة أخرى لينظر إليها متسائلاً، فهزت رأسها:

ـ تعرف أخاك أفضل مما أعرفه طبعاً.. ولكنني أحسبه يرفض أن يلزم نفسه بخطيبتك الجديدة بضعة أشهر.

طمأنها غريفت بابتسامة واثقة:

ـ حسناً، يستحسن أن تصدقي.. ألم أقل لك إن أكثر ما يثير اهتمامه هو فكرة خطوبتي؟ عاجلاً أو آجلاً على أحدنا القيام بعمل حاسم، لكن لم يتصور أحد منا أن أكون أول من يقع في الشباك. سيظن ڤيرن أن قواي العقلية تفقد توازنها.

نظرت إليه بريبة لأن هذه الملاحظة لا تبعث إلى النفس الثقة:

ـ أخاله لن يرحب بي.



ـ إيدن توقفي عن القلق..! من يرَ قلقك يظنني أصطحبك إلى بيت مجانين. استرخي.. أرجوك!

بذلت إيدن جهداً للاسترخاء، لكنها لم تستطع إخراج ڤيرن هوفمان من تفكيرها.. فعادت تسأل بعد لحظات:

ـ أيشبهك؟ أعني.. هل أنتما متشابهان؟

ـ أبداً.. ليس بهي الطلعة مثلي!

ـ هكذا إذن؟

تأملته قليلاً وهي تفكر في أن من السهل تصديق عدم وجود رجلين بهي الطلعة مثل غريفت في العائلة نفسها. إن لغريفت شعراً بنياً مسترسلاً وعينين زرقاوين قاتمتين لا تغيب عنهما الابتسامة، وسحراً مميزاً. وللأسف أنه مدرك حقيقة صورته الرائعة وجاذبيته إلى درجة الغرور.

قال لها وفي عينيه ضحكة:

ـ لا أعني أنَّ ڤيرن بشع، ففتنة آل هوفمان لم تتخلَّ عنه، وهذا ما يجعله يملك حظاً وافراً من الجاذبية.. معه، هناك دائماً قصص علاقات قلبية، إنه إنكليزي أكثر بكثير مني.. ولهذا تفضله جدتي عليّ!

بدأت إيدن التي لا تعرف عن ڤيرن إلا أنه وصيّ أخيه الأصغر تتساءل عما إذا كانت الفكرة التي كوّنتها عنه خاطئة. لقد تصورته متوسط العمر تقريباً، ربما لأن غريفت يلقبه بڤيرن العجوز من وقت إلى آخر، أو ربما لأنه يصوره شخصاً متزمتاً لا يهتم بشيء خارج إطار أعماله العائلية. ولكن ما قاله غريفت مؤخراً يدفعها إلى إعادة التفكير في ما تصورته عن هذا الرجل.

ـ أنا لم أفكر فيه على هذا الضوء.

التمعت عينا غريفت الزرقاوان لحظة بحيرة، ثم هزّ رأسه:

ـ ليتك لا تفكرين فيه أبداً. التصقي بي ودعي ڤيرن للولا كورد ـ مانيارد.

نظرت إيدن إليه باستغراب:

ـ من هي لولا كورد ـ مانيارد هذه؟ وكأنها ممثلة مبتذلة من فيلم رخيص.

وجد غريفت افتراضها مسلياً، فأطلق ضحكة مرتفعة:

ـ لا.. ليست من فيلم رخيص حبيبتي.. فلولا من الطبقة العليا، وارثة ثروة كبيرة. وهي خطرة كالديناميت حين تغضب.. يعدّ والدها الثاني في العظمة بعد عائلة هوفمان. ولقد وضعت منذ أنهت المرحلة الثانوية عينيها اللوزيتين على «ڤيرن العجوز».

ـ أووه.. هذا كلام خبيث منك!

ـ ربما.. لكن إذا ظننت هذا خبثاً فأنت لم تشاهدي شيئاً بعد.. فالخبيثون يتلقون دروسهم من لولا، وهي تتمتع بشكل خاص بتحطيم الإناث الأخريات والإخوة الصغار.. لذلك ابتعدي عنها!

ـ وهل هي جذابة؟

ـ أجسدياً تعنين؟ إنها مذهلة: حريرية شرقية ناعمة، لكنها قطعاً غير لطيفة إلا مع ڤيرن..!

ـ إذا كانت كما تقول مذهلة وودود مع أخيك، فلماذا لم يتزوجها؟

ـ لأنه ليس من النوع المزواج. وهو يعرف أن على المرأة التي يريد الزواج بها أن تمرَّ تحت عيني جدتي الصغيرتين، غير أن جدتي لا تؤمن بوجود امرأة تناسب زعيم عائلة هوفمان،



ولولا مثلي، مزيج حقيقي من الأصول المتعددة في جزر البهاما.

ـ أنا دهشة لأنَّ لولا.. نسيت باقي اسمها.. لم تتزوج من شخص آخر غيره لإغاظته. وهذا ما كنت أفعله لو أني مكانها.

ـ وهذا ما فعلته. كان كورد اسم عائلتها، ثم أضافت إليه اسم مانيارد بعد زواجها برجل اسمه تريس مانيارد منذ بضع سنوات، وظنت أن الاحتفاظ باسمين رقياً فاحتفظت بالاسم ودمجت بينهما بعد الطلاق.

ـ أنت لا تحبها؟

ـ أحبها كما أحب الصفعة على الوجه.. وهذا شعور متبادل.. أنا أكره أن تكون فرداً من العائلة وهي تكرهني لهذا السبب، ولكنني أعتقد أنها في النهاية ستجرُّ ڤيرن العجوز إلى مذبح الزواج.

سألته ضاحكة:

ـ وهل الأمر مأساوي إلى هذه الدرجة؟

كشّر وجهه ساخراً: «أعرف ڤيرن.. والقوة المطلقة هي الطريقة الوحيدة لإيصاله إلى هناك.»

كان غريفت قد وصف لها «غرين هاوس» لكن حين شاهدته فعلاً، أحست أنها تمرُّ بتجربة لن تنساها.. بناه أول الوافدين من إنكلترا إلى البهاما من آل هوفمان عام ١٨٠٠.. والمنزل منسجم بشكل متكامل مع حدائق غنّاء وغابات ضخمة ملتفة حوله. جزر البهاما من أكثر البلدان التي جادت عليها الطبيعة بالجمال، وفي الواقع كان كل نوع من النباتات التي تنمو في تلك الأرض مزروعاً بكثرة في تلك الحدائق المتألقة. لذا خطف منظر المنزل القابع وسط مساحات واسعة من أشجار الأناناس أنفاس إيدن.

كان الطريق المؤدي إليه يمرّ عبر طريق عريض مغبر، تحدق به أنواع غنية بالألوان والعطور. شعرت وهي في الطريق إلى منزله وكأنها في حلم جميل. عندما أوقف غريفت السيارة أمام المدخل مال برأسه إلى الخلف يسنده إلى المقعد ثم تنهد برضى تام:

- بيتي.. ما أجمل البيت!

في صوته شيء ما جعلها تعتقد أنه لا ريب أخيراً عائد إلى بيته مهما ادّعى قدرته على الاستقرار في مكان آخر، ومهما كانت خططه للمستقبل، للانفصال عن شقيقه وخططه.

- إنه مكان جميل..!

التفت إليها مبتسماً مردداً: «إنه مكان جميل...»

ثم ترجّل من السيارة ينظر إلى المنزل القديم المدفون تقريباً تحت أزهار معترشة وردية اللون. التفت إليها فجأة، وكأنه تذكر أنه ليس وحده:

- لم أدرك مدى اشتياقي إلى منزلي القديم.

كانا يجتازان مدخلاً مسقوفاً حين انفتح باب المنزل الضخم تطلّ منه امرأة سوداء ضخمة:

- غريفت! كنا نتوقع وصولك منذ وقت.. أين كنت؟ ظننّاك تهت!

كان صوتها مرتفعاً وتتكلم بلهجة أهل الجزيرة، وهي لهجة تعسّر على إيدن فهمها. لكن البسمة العريضة، والوجه المبتهج دفعا ثقتها بنفسها إلى الأعلى.. سمعت المرأة تكرر بطريقة أليفة:

- أين كنت؟



- علقنا في زحام السير باثي.. ما أروع العودة! أين الآخرون؟

- سيد ڤيرن في الصالون، والسيدة هوفمان في غرفتها.

- أهي غاضبة أم تتدلل؟

هزت المرأة نفسها مؤنبة:

- أنت تعرف أن رؤيتك ستسرّها.

راحت إيدن تتأمل الردهة الداخلية الأنيقة ذات الطراز القديم. كانت الغرفة باردة والفضل يعود جزئياً إلى الأرض المبلطة وإلى الجدران البيضاء الملساء الخالية من الزخرفة التي تتدلّى منها لوحات، إضافة إلى شجرة نخل خزفية تقف على قدمي درج حجري ملتفّ أنيق، أما الأثاث الوحيد الذي كان فيها فطاولة صغيرة عليها هاتف وكرسيان من الخيزران.

قال غريفت لمدبرة المنزل الناظرة إلى إيدن بفضول:

- باثي.. لقد اصطحبت خطيبتي للقاء العائلة، ألا تريها جميلة؟ اسمها إيدن، إيدن كاريستر.. وأنا مجنون بحبها!

هزت العجوز يدها بوقار، ثم عادت إليها ابتسامتها الودود:

- آنسة «كاريستر» ستحبين الإقامة هنا.

ثم التفتت إلى غريفت، تحثه على الدخول:

- لا ريب أن الجميع علم بوصولك لذا من المستحسن أن تدخل قبل أن يخرج السيد ڤيرن إليك.

تردد غريفت لحظات وكأنه يحضّر نفسه لرؤية أخيه، وهذا ما بدا لها غريباً.

- فلنذهب.

اجتازا الردهة ويده لا تبارح خصرها. عندما أصبحا أمام ما

أشير إلى أنه «الصالون» عانقها بسرعة ثم أدار مقبض الباب وعيناه لا تفارقان وجهها فكاد يصطدم بشخص خارج من الباب.

- ڤيرن!

لم يكن هناك مجال للخطأ في مدى سعادته، فهذا الرجل ابتسم لأخيه ثم ارتدّ إلى الوراء ليفسح لهما المجال حتى يدخلا، بعد ذلك أمسك يد غريفت بكلتا يديه فيما التمعت عيناه الرماديتان بالدفء، تتأملان كل تقاطيع وجه أخيه:

- أهلاً بك غريفت.. ما أروع رؤيتك مجدداً!

صوته هو أكثر ما جذب إيدن إليه، فقد كان عميقاً ناعماً وساحراً بشكل استثنائي، ففي نبرته ما هو مميز. تذكرت أنه تلقى تحصيله الجامعي في مدرسة الجزيرة، ثم انتقل إلى أوكسفورد، وربما هذا هو مردّ لكنته الغريبة الخفيفة.

لم يكن لديها شك في أن الأخوين سعيدان بلقائهما من جديد، وهذا ما أراح نفسها لأن أية بوادر عدائية كانت ستعتم قلبها. ضمّها غريفت إليه، ثم وضع شفتيه على حافة جبينها قائلاً:

- هذه إيدن.. إيدن حبيبتي.. هذا أخي الأكبر ڤيرن.

حيته متلعثمة ذلك أن عينيه الرماديتين راحتا تتأملان ملامحها جميعها بدقة متناهية، وحين لامست يدها اليد التي تقدمت إليها أطبقت الأنامل الطويلة على يدها، تمسّك بها قليلاً وهو يتابع تفرّسه غير المتحفظ بها. ثم قال بهدوء:

- إيدن.. إنه اسم غير عادي آنسة كاريستر.. هل لي أن استفسر عمَّا دفع والديك إلى تسميتك بهذا الاسم؟

- لا.. أبداً.. إنَّ والديَّ عالما نبات، وهما فضّلا أن



يسميانا جميعنا أسماء غير تقليدية تختص بأسماء النباتات، فكان أن اختارا لي اسم «جنة عدن».

- من تقصدين بـ «جميعنا»؟

بدا سؤاله وكأنه لا يصدق وجود مثيل لها، فتضرّج وجه إيدن خجلاً:

- لديّ ثلاث أشقاء سيد هوفمان، الأكبر هو «أوك» أي السنديان، ثم «سيدر» أي الصنوبر والأصغر «سبرنغ» تشبهاً بالربيع.

- إنها فكرة ساحرة.

لم تكن واثقة إن كان قوله ساخراً أم صادقاً لذا لم تستطع أن تأخذه على محمل التهجم. سعى إلى نظراتها المراوغة قليلاً، وحدق فيها ليسأل:

- هل لي أن أناديك إيدن؟ أم ألجأ إلى الرسمية منادياً إياك بالآنسة كاريستر؟

- أوه.. «إيدن» أرجوك!

هزَّ رأسه ونظراته الغريبة المثيرة لا تبارح وجهه. عندما توجهوا إلى داخل الغرفة تابع يسأل:

- هل كانت رحلتكما موفقة؟

تدخل غريفت ليجيب.

- لم تكن سيئة.. شكراً.. لكننا نحتاج إلى تمديد أنفسنا أليس كذلك حبيبتي؟

هزت إيدن رأسها.. لم تكن مضطربة بالضبط، لكنها منفعلة انفعالاً لم تفهم سببه. أيعود السبب إلى لقائها بڤيرن هوفمان، أم للقلق أسباب أخرى. لم يكن ڤيرن وسيماً بهي الطلعة كغريفت،

لكن له جاذبية مدمرة، يزيد من قوتها الغامرة، ثقته بنفسه ونضوجه إضافة إلى قسماته البارزة التي هي أكثر تأثيراً من جمال القسمات.

كان طويلاً بشكل فريد، فطوله يتجاوز المئة والثمانين سنتمتراً، أما جسده فنحيل قوي رياضي، على وجه أدقّ، رشيق رشاقة قط بري، ففيه لمحة قوة مستترة مؤثرة وفعّالة. كان يرتدي سروالاً رمادياً فخماً وقميصاً عاجياً، يتناقض مع شعره البني الشبيه بلون خشب الماهوغوني مع قسماته الشديدة الاسمرار. كان كل شيء فيه أقل رسمية مما توقعت.

سمعته يقول وعلى شفتيه شبه ابتسامة:

ـ لا أعتقد أنني رحبت بكِ جيداً في «غرين هاوس»، اعذريني إيدن.. لكما تهانيَّ.. أهنئك غريفت فإيدن ليست كما توقعت.

مع أنه كان يخاطب أخاه إلا أنه لم يرفع بصره عنها. فحارت في ما إذا كان عليها أن تفهم شيئاً من تعليقه ولكنها أخيراً ابتسمت فهي في بداية الطريق وليس عليها القبول بأية معارضة قد يفرضها ڤيرن هوفمان... ففيه أكثر من لمسة تعجرف مقيتة لنفسها ولكنها عادت فنظرت إليها على أنها جزء مكمل لجاذبيته الفريدة.

قال لغريفت:

ـ أعتقد أنه يمكنني تقبيل العروس فأنا أخو العريس.

كانت على وشك الجلوس.. فحبست أنفاسها غصباً عنها.. أما غريفت فقطب جبينه ولكنه هزَّ رأسه موافقاً.. أمسكها ڤيرن من ذراعها وأدارها لتواجهه، فنظرت مباشرة إلى عيني ڤيرن



هوفمان الرماديتين اللامعتين برهة قبل أن يجذبها إليه. كانت لمسته لها مؤثرة تأثيراً خطيراً، ذلك أنها أحست عبر رقة حرير قميصها أن بشرتها تلتهب وأحاسيسها تتدغدغ ونبضاتها تسرع بطريقة غير عادية.

ـ هل تمانعين؟

لكنه لم يترك لها الفرصة للرد قبل أن يعانقها بطريقة لطيفة حميمة مذهلة غير متوقعة. لم يهدف عناقه إلى إسعادها بل إلى معرفة ردة فعلها. تذكرت إيدن ما قاله غريفت عنه وعن مغامراته العاطفية، ثم تراجع عنها بهدوء معلقاً:

ـ لا.. أنت لست كما توقعت!

أحست أنها غير واثقة من مشاعرها، فحاولت تغطية هذا بجو من الثقة بالنفس.. فقالت له:

ـ تسرني موافقتك عليّ سيد هوفمان. أعترف أنني كنت أخشى أن ترفضونني لأنني نزلت عليكم من غير سابق إنذار.

ـ ألم تتوقعي أن نرحب بك؟ لا أدري ما الذي أعطاك هذه الفكرة، فكيف لا نعامل ضيفة حلَّت بنا بطريقة حارة وهي خاصة خطيبة غريفت. أعتقد أن غريفت بالغ قليلاً.

أنكر غريفت بسرعة:

ـ لم أبالغ بل أعطيتها فكرة عما قد ينتظرها. وهذا حقها. وعلى أي حال أنت حين لا يناسبك شيء ما مدّعٍ متكبر.

نظر إليه ڤيرن بحدة فأشاح غريفت نظره عنه بعدما تضرّج وجهه قليلاً.

ـ أعتقد أنك محق.. (قال ڤيرن)

ثم صبَّ من جديد اهتمامه على إيدن مشيراً إلى مقعد خلفها

مباشرة:

ـ رجاء اجلسي إيدن.. ولا تأخذي تحذيره على محمل الجد. أؤكد لك أننا لسنا كما صوّرنا لك.

عندما جلس غريفت أيضاً وجدت إيدن نفسها بينهما.

ـ هل ستتأخر جدتي في النزول؟ أود الخروج للتأكد من أن ليون لن يخدش طلاء سيارتي الجديدة.

نظر إليه ڤيرن والسخرية بادية في عينيه:

ـ أما زلت تخشى الجدة؟

أحست إيدن بالغضب من ڤيرن لكن غريفت أجاب بشجاعة لم تكن تتوقعها.

ـ أنت تعلم أنها ستغضب لأنني فشلت في نيل درجات جامعية ڤيرن.. وهي دون شك لن تتوانى عن توبيخي حتى أمام إيدن! لذا يستحسن أن أمهلها وقتاً حتى تهدأ.

سأله ڤيرن بهدوء:

ـ وماذا عن إيدن؟ هل ستتركها تقابل الجدة وحدها؟

ـ لن تكون وحدها فأنت معها ثم إنني ذاهب فقط للعناية بسيارتي.. وقد أعود قبل أن تنزل الجدة.. هل أخطرتها بخطوبتنا؟

وقف وهو يتحدث يفرك يديه لحظات، فردَّ عليه ڤيرن ببرود يتناقض مع توتر غريفت:

ـ طبعاً.. فرسائلك وُجهت إلينا في آن واحد ولم يكن فيها في الأشهر الأخيرة إلا أخبار عنك وعن إيدن، وهذا يعني أنك ما كنت تحاول إبقاء الأمر سراً!

ـ لم أكن أحاول... وكيف تقبلت الأمر؟



ـ وهل هذا مهم؟

خفق قلب إيدن لما قرأته بين السطور، فالجدة الارستقراطية المتسلطة لم توافق عليها.. رد غريفت:

ـ أنت تعلم جيداً أنه مهم جداً.. فإيدن ستعيد النظر بشأني إذا ما راحت الجدة تلعب دور السيدة الإنكليزية المتكبرة. ستصعّب عليَّ الأمور إن لم تعجبها إيدن!

ـ لا أعرف ما قد يدعو الجدة، أو أي شخص آخر إلى عدم الإعجاب بإيدن.

حوَّل نظراته الرمادية الباردة إليها فانزلقت ببطء على قسماتها باهتمام واضح، جعل وجنتيها تتوردان وقلبها يخفق بين جنبيها. ثم أكمل متمتماً يهزُّ رأسه:

ـ ما من سبب أبداً.

سمعت غريفت يصدر صوتاً كأنه الضحك:

ـ ما الجدة برجل وهذا يعني أن إيدن لن تؤثر فيها كما أثّرت فيك أنت. أنت تعرف كيف تنظر إلى من هو غير إنكليزي.

ردَّ ڤيرن بنفاذ صبر:

ـ كان عليك إذن أن تفكر في هذا فتختار فتاة إنكليزية! بالله عليك دعك من الاعتذار أمام إيدن، فهذا ليس إطراء!

جلست إيدن تفكر في الموقف محرجة.. والغريب أن غريفت هو من سبّب هذا الإحراج، فلقد بدا أقلّ فهماً لمشاعرها من أخيه. أخيراً قالت بصوت أجشّ:

ـ إذا كان وجودي سيسبب مشكلة أستأجر غرفة في فندق.

أكّد لها ڤيرن بحزم:

ـ لن تفعلي شيئاً كهذا.. اذهب وأبعد سيارتك، وسأعتني



www.elromancia.com

بايدن.

لاحظت إيدن عبوس غريفت الشديد حين ذكر ڤيرن «أعتني بها»، وكادت تعترض على هذا التعبير أيضاً.

ـ أعتقد أنك قادر على هذا.. لكنني أفضل مقابلة الجدة أولاً ثم أنتقل بعد ذلك إلى السيارة.

لم تصدق أن ڤيرن كان يضحك، لكنه لوّح بيده مستهزئاً وهزَّ رأسه:

ـ أوه.. أنت وتذمراتك المرتفعة الصوت. اذهب واعتنِ بسيارتك الثمينة.. ولا تقلق بشأني!

ـ لست مطمئناً.!

لمعت عينا ڤيرن ضحكاً مجدداً. ثم نظر إلى إيدن الجالسة ويداها في حضنها دليل رفضها أن تكون مثار خلاف. ولكن ما أزعجها أن تُترك بصحبة ڤيرن الذي ينظر إليها هذه النظرات، فعيناه على وجهها المتورد كانتا تتحديان... سألها بصوت ناعم منخفض أرسل رعشة غير متوقعة إلى أوصالها:

ـ أمتوترة أنت بسبب بقائك معي؟ غريفت يعرفني جيداً.. فلم يحدث أن لجأت إلى الاهتمام بالأطفال... اذهب واعتنِ بسيارتك ودعك من لعب دور الخطيب الثقيل الظل.

دهشت إيدن حينما تخلى غريفت عن النقاش قائلاً لها بحزن:

ـ لن أتأخر حبيبتي.. ستكونين على ما يرام حتى أعود.

لم يكن مجدياً أن تطلب منه البقاء، أو الذهاب معه. حين أقفل غريفت الباب خلفه، مال ڤيرن إلى الأمام ليأخذ سيكارة من علبة على الطاولة بينهما. لم يعرض عليها التدخين، بل نظر إليها



بعينين ضيقتين عبر الدخان الذي تصاعد فغطّى نصف وجهه.. قال برقة، وبابتسامة خفيفة توحي بأنه يعرف ما تشعر به بالضبط:

ـ أنا لا أعض.. خاصة في مثل هذه الظروف.

ما زالت إيدن غاضبة منه لأنه قال لأخيه إنه لا يهتم بالأطفال. فشمخت بأنفها الصغير المستقيم:

ـ سيد هوفمان...

لكنه قاطعها بهدوء «ڤيرن».

ترددت إيدن أمام اسمه الأول، لأنها وجدته مثيراً للاضطراب، فقالت وهي ترفع حاجباً بنياً واحداً:

ـ أتساءل ما إذا كان عليَّ الذهاب مع غريفت.

ـ لا أرى سبباً. إنَّ جدتي قادمة وهي ستتزعج إن وجدتكما تهربان منها. إنها عجوز قديمة الطراز إيدن.. وربما يراها بعض الناس متسلطة، لكنها سيدة رائعة ونحن نحبها. وغريفت مولع بها مثلي وإن قال العكس. لكنه يتظاهر بعدم الاكتراث. ثمة أمر آخر: يستحسن أن تناديها بالسيدة هوفمان لأنها لا تحب إلغاء الرسميات.

ـ سأحاول أن أتذكر هذا.

خفق قلبها بحدة حين انفتح الباب، أما ڤيرن فهبَّ على قدميه برشاقة ذكرتها بالقط البري.

ـ آه.. جدتي..!

تقدم إليها واضعاً يده تحت ذراعها، إنما دون أن يمسك بها فعلاً، فعلمت أن السيدة هوفمان تحس بالاستقلالية.

بدت للوهلة الأولى طاعنة في السن. وجهها صغير متجعد، وعيناها قاتمتان حادتان، فيها مهابة تفوق ما وصفه غريفت، لكن



www.elromancia.com

حولها جوّاً من الدفء لم يذكر عنه شيئاً. أدركت إيدن أن العجوز التقطت توترها، وتعاطفت معه.. قالت: «ڤيرن»!

كان حنّها لحفيدها حاداً، فأسرع يتدارك الأمر متجاهلاً تماماً حدّة الأمر الذي تلقاه. ابتسم وهو يمدُّ يده لإيدن، رابطاً أناملها بأنامله بخفة ناظراً إليها بإمعان قبل أن يشدها لتقترب من العجوز، التي احتلت مقعداً كان يجلس فيه. قال بصوته الرخيم الهادىء:

ـ جدتي.. هذه إيدن كاريستر، خطيبة غريفت.. إيدن هذه جدتي.. مدام هوفمان.

امتدت يد صغيرة بطريقة تشير إلى الفخامة، فتساءلت إيدن عما إذا كانت تتوقع العجوز منها أن تقبلها لها أم تصافحها بطريقة عادية. أخيراً، لامست الأصابع النحيلة مبتسمة:

ـ كيف حالك سيدة هوفمان؟

دفئت العينان القاتمتان قليلاً.

ـ أهلاً بك في «غرين هاوس» آنسة كاريستر.. أنت أميركية على ما أعتقد؟

نجحت العجوز في إبراز هذا وكأنه اتهام لكنها لم تكن عدائية لها. ومع ذلك تمردت روحها الاستقلالية ضد ما يشير إلى أنها قد تكون غير مرغوب فيها بسبب جنسيتها فكان أن شمخت بأنفها:

ـ هذا صحيح مدام هوفمان.

ـ وفخورة بها كما أرى!

لمعت العينان القاتمتان وكأن صاحبتهما لا تغضب من التحدي، ولعلَّ هذا ما يجعل العجوز تفضل ڤيرن على غريفت..



وقالت:

ـ ليس هناك ما يجعلني أخجل بجنسيتي سيدتي.

هزت المرأة رأسها. ورافقت هزة الرأس بالقول:

ـ لديك جرأة. إنك نوع من النساء ما ظننت غريفت قد يعجب به يوماً.. أنت حمراء الشعر، وهذا يعني أنك تنفجرين كالصاروخ حين تغضبين.

ـ ليس دائماً سيدتي. فأنا عادة لطيفة الطباع، إلا في بعض الحالات.

ـ هل طلب حفيدي يدك؟

ـ نعم سيدتي.

ـ أعتقد أن شعرك الأحمر طبيعي؟

احمرّ وجه إيدن مجدداً ورفعت ذقنها بكبرياء:

ـ إنه كما خلقه ربي سيدتي!

مال ڤيرن فوق مقعد جدته، وقد التمعت في عينيه التسلية. بدا أن العجوز تستمتع بالحديث، ذلك أنها التفتت تنظر إليه سائلة:

ـ والآن.. أين حفيدي الآخر؟

نظرت إيدن إليه لتسمع رده، فابتسم لها:

ـ خرج ليتأكد من أن ليون لم يخدش له طلاء سيارته الجديدة. لن يتأخر جدتي.

أطلقت إيدن تنهيدة داخلية وهي تستوي في مقعدها، فقد سمعت وقع خطوات غريفت في الردهة:

ـ أظنه قادماً.

دخل الغرفة مسرعاً متوجهاً إلى العجوز:

- جدتي! كيف حالك؟

قبّلها على وجنتيها، فأمسكت العجوز به على امتداد ذراعيها وقالت له:

- أنا بخير! لقد كبرت وأصبحت شبيهاً بأمك. أنت في غاية الوسامة، وهذا لصالحك.. إنما ليس مريحاً لبال الفتيات الغبيات اللواتي يجرين خلفك.

إنها المرة الأولى التي ترى إيدن فيها غريفت على هذه الدرجة من الارتباك فتساءلت كيف سيتصرف ثم راحت تتأمل وجهه يتضرّج ولكنه تمسك بما لديه من شجاعة ليبتسم لإيدن. ويمسك يدها ويقول:

- إنها فتاة واحدة.. وهي ليست غبية، إنها جميلة وذكية.

- إنها فعلاً جميلة واثقة من نفسها أما ذكاؤها فلن أحكم عليه حتى أعرف إلى أي حد تغيّرت أنت.

ردَّ بحذر ويده تشد يد إيدن بقوة:

- لقد تغيرت.. قليلاً.

- مع ذلك، عدت إلى الوطن دون درجة جامعية واحدة تضيفها إلى اسمك.. وهذا ما لا أدعوه بالذكاء غريفت.. بل أدعوه هدر وقت ومال.. على أي حال.. ليس هذا بالزمان والمكان المناسبين للكلام في هذا. على الأقل كنت عاقلاً في اختيار فتاة تحمل روحاً جيدة وثقافة لا بأس بها.. والآن متى ستتزوجان؟

دهشت إيدن عندما رأت ارتباك غريفت الذي لم يرد على الفور كما توقعت. لذلك أخذت على نفسها توفير الرد:

- لم نقرر شيئاً بعد مدام، ولا داعي للعجلة.



أخذت العينان الحادتان السوداوان تنتقلان من الحفيد إلى الآخر وهي تهمهم، ثم هزت كتفيها النحيلتين بطريقة أنيقة.

- لا أدري شيئاً عن هذا، أيتها السيدة الشابة.

أخيراً وجد غريفت صوته:

- سعيدان بما نحن عليه لذا لسنا على عجلة من أمرنا. أليس كذلك حبيبتي؟

تمتمت إيدن شيئاً، غير مفهوم، غير واثقة مما قد تقول. لكنها أحست بالامتعاض حينما ضحك ڤيرن هوفمان بهدوء، وانزعجت أكثر حينما شعرت بعينيه الرماديتين تصبان عليها الاهتمام.

* * *

## ٢ ـ ستندمين!

قالت إيدن مشيرة إلى تأثير الجدة في غريفت:

ـ أتعلم أنا معجبة بها، مع أنها طاغية لا تقاوم.

اعترف متجهماً:

ـ كنت أخشاها وأنا صغير.

كانا يسيران في الحديقة بعد الغداء، وذلك بعد يومين من وصولهما إلى الجزيرة..

ـ عاشت هنا دائماً. لقد أتت إلى الجزيرة عروساً وبقيت فيها حتى تزوج أبي زوجته الأولى، والدة ڤيرن، والآن مات الجميع، أبي، وأمي، وأم ڤيرن، وبقيت جدتي.

ـ إنها عجوز جداً؟

هزَّ غريفت رأسه:

ـ في السادسة والثمانين، وقد تبلغ المئة، لا تفهمي من قولي إنني لا أريد أن تبلغ المئة بل أشير إلى قدرتها الفريدة على الاحتمال.

ـ إنها امرأة ارستقراطية.

ـ كانت.. وليس مسموح لأي منا خاصة أنا أن ينسى أن عائلة هوفمان من العائلات الارستقراطية.

ـ لماذا أنت خاصة؟



حيّرها اتخاذه دائماً موقف الدفاع، فتساءلت عن السبب... لم تجد فرقاً كبيراً في تصرفات السيدة هوفمان حين تخاطب حفيديها. فارتابت في الأمر. ترى أيكون لأم غريفت علاقة بالأمر؟ هذا ما عليها أن تتأكد منه.. أمسك يدها بقوة، فبدا وكأن ما يقوله بحاجة إلى تفكير... أخيراً قال:

ـ لم تكن أمي الخيار الأمثل بالنسبة لجدتي، فقد كانت تعمل في قسم الإنتاج في مصنع هوفمان حين جذبت اهتمام أبي. كانت حلوة، جميلة حقاً، لها عينان زرقاوان واسعتان وشعر أشقر كثيف. أعتقد أن أبي كان رجلاً قوياً فاحتاج إلى امرأة. فلقد ماتت والدة ڤيرن قبل زواجه بأمي بسنوات، وكان يحسُّ بالوحدة. على أي حال، حين عرف أنني قادم، قام بما رآه صواباً فتزوج أمي.. لكن جدتي لم تسامحه على ما فعل.

ـ ولماذا لم تسامحهما ما دامت السعادة ثالثهما؟

تصورت الضربة التي تلقاها كبرياء العجوز حين تزوج ابنها بموظفة وضيعة النسب.. وأجاب غريفت:

ـ أوه.. لقد كانا سعيدين حقاً. ولعلَّ هذا ما أغضب الجدة. ثم، ومنذ سبع سنوات قتلا وذلك حينما كانا مسافرين لحضور حفلة. يومذاك اصطدما بشاحنة.

ـ كانت الحادثة دون ريب مريعة.

ضغطت على يده تعاطفاً، فنظر إليها لحظة قبل أن يستجمع نفسه، ويبتسم بخشونة:

ـ حسناً... كنت في السادسة عشرة يومذاك وكانت الحادثة شديدة الوقع عليَّ ولكنها كانت أيضاً شديدة على ڤيرن الذي كان متعلقاً بوالدتي. أعتقد أنني لولاه لعشت حالة فلتان. لقد تولاني

وفرض عليَّ الأنظمة، وبما أنه أكبر مني بكثير، استطاع الإمساك بالزمام. كانت أمي تريد أن أتلقى تعليمي في جامعة كبيرة، لذا دفعت أبي إلى أن يعدها بإرسالي إلى أمريكا إذا نلتُ علامات مناسبة.. فكان أن دفعني ڤيرن للعمل لأكسب مكانتي، ولعل ذلك أفضل ما فعله بي.

ـ إذن، هو ليس سيئاً؟

ـ ڤيرن؟ ليس سيئاً.. إنه... متعجرف قليلاً في بعض الأوقات.. في الواقع إنه ارستقراطي حقيقي.

ـ حسناً.. وأنت ألست أرستقراطياً؟

ـ لست مثله. فقد اختيرت والدته بدقة وكأنها فرس أصيلة نظراً لأصلها وجمالها ولتحدّرها من عائلة رفيعة المستوى، كانت الزوجة الكاملة لأبي. ولقد توّجت إنجازاتها حين قدمت لأبي الابن الضروري بعد أقل من سنة.

ـ ڤيرن؟

هزَّ رأسه نفياً:

ـ لا.. بل روجر.. كان أكبر بسنتين من ڤيرن، مات وهو في السابعة عشرة. كنت في الرابعة يومذاك، لكنني أذكر أن موته كان شديد الوقع على جدتي التي راحت منذ ذلك الوقت تعامل ڤيرن وكأنه أثمن من في العالم.

أحست أن سبب مرارته هذه حاجته إلى حب جدته.

ـ من يسمعك يعتقد أنك تكرهها ولكن ذلك غير صحيح.

الضحكة التي ارتسمت على وجهه ردَّته إلى طبيعته التي عرفتها:

ـ أنا أحب العجوز، لكنها تخيفني.



أكدت له:

ـ وهذا ما حصل.. أنت تحب (غرين هاوس) أليس كذلك؟

ـ أعتقد أنني أحببته دائماً. لكن هذا لا يعني أنني لن أتركه حين يحين الوقت.

ـ لكن ألن تشتاق إليه؟

ـ طبعاً.. لكن هذا أمر طبيعي، وسيبقى بيتي لو أردت يوماً العودة إليه. ليتك ترين المنزل على حقيقته دون وجود الجدة التي توترك.

ـ لست متوترة.. يعجبني المنزل، وتعجبني الجدة. لماذا ترتعب منها؟

ـ تبدين مثل ڤيرن.

ـ أوه.. لست مثله أبداً!

ـ لماذا أشعر أنك لا تحبينه كثيراً. أعتقد أنه يتصرف بطريقة أرستقراطية قليلاً وبقسوة أحياناً حين يريد تنفيذ ما يريد ولكن لا بأس به.

ـ أوه طبعاً. لكنني متوترة منه قليلاً، فهو كما قلت متسلط أكثر من اللازم، وأنت تعرف ما شعور من يلتقي بمعارف جدد!

ـ لكن اللقاء بمعارف جدد لم يكن يزعجك من قبل.. فلماذا ڤيرن؟

ـ أوه.. لا أدري.. الأمر فقط.. إنه...

عضّت على شفتها مترددة وهزت رأسها ضاحكة لتقطع تتمة الجملة. فلن ينفعها إن علم غريفت أنها تجد أخاه إضافة إلى تسلطه جذّاباً. كانت في الواقع قد بدأت تتمنى لو أنها لم تلزم نفسها بقضاء الصيف كله هنا، فثمة عناصر عديدة مزعجة. لقد

توقعت أن تستغرب الألوان والشمس الاستوائية، ولكنها وجدت العامل البشري هو الغريب وڤيرن هوفمان سيد من يوترها.

بعد أسبوع على وصولهما وفيما كان الجميع متحلقين حول مائدة العشاء أثار ڤيرن مسألة انضمام غريفت إلى شركة هوفمان. كان الموضوع حساساً ولكن غريفت عوضاً عن التعاطي معه بحذر سارع إلى القول بجسارة إنه لا ينوي الانضمام إلى المؤسسة أبداً.

رفع ڤيرن رأسه ليحدق إليه، لكن السيدة هوفمان كانت أول من أبدى الدهشة، لذا جاء صوتها القوي رنّاناً مشبعاً بالسخط:

ـ ماذا تقول يا ولد؟ ألا تريد الانضمام إلى مؤسسة هوفمان؟

أبقى غريفت عينيه منخفضتين:

ـ أعتقد أن هذا يلخص ما قلته.

ـ هكذا إذن!

كان رأي العجوز واضحاً، أما رأي ڤيرن فلم يُعرف لأنه ظلَّ صامتاً بعض الوقت ينظر إلى غريفت بثبات ويده على كوب العصير أمامه وقسماته السمراء لا تفصح عن شيء. بعد قليل قال بهدوء:

ـ أعتقد أنك فكرت في الأمر ملياً.

وليزداد توتر إيدن، التفت إليها بعينيه الرماديتين، وكأنه يشير إلى أنه يعرف تماماً أين يضع اللوم لتحوّل أخيه غير المتوقع.. أجاب غريفت:

ـ أجل.. لقد فكرت ملياً.

رفع ڤيرن كأسه فارتشف منه عدة رشفات ببطء وهدوء، أما إيدن فجلست متعجبة من سيطرته على نفسه.. فهو لم يلقِ



اتهاماته جزافاً، ولم يفقد أعصابه، بل أشار بهدوء:

ـ إذن هناك ما يجول في ذهنك.

نقل مرة أخرى عينيه الضيقتين إلى إيدن.. ونظر غريفت إليها أيضاً قبل أن يرد.

ـ سأقوم بما أجيده.

ـ أوه؟

كانت لعبة تشبه لعبة القط والفأر، ولكنها أحست بأن لڤيرن اليد الطولى في تلك اللحظة..

ـ أريد أن أصبح موسيقياً.

بدا كأنه تلميذ صغير ساذج، لذا لم تستغرب إيدن حين التوى فم ڤيرن بابتسامة، وقال:

ـ أوه.. صحيح؟ وماذا أو من وضع هذه الفكرة في رأسك؟

في كلامه مغزى وشك فيها. أرادت أن ترد ولكن غريفت سبقها إلى ذلك رافعاً أنفه عالياً ناظراً إلى أخيه متحدياً.

ـ دعك من الهمز واللمز.. الفكرة فكرتي وحدي.

ليته يتوقف فقط عن النظر إلى إيدن:

ـ آه.. هـا..! وما يُفترض بإيدن فعله أثناء تجولك وتسكعك؟

تضرّج وجه إيدن من هذه الإهانة فقالت باحتجاج:

ـ ليس لكلامك مبرر.. أنت لا تعرف حتى ما الموسيقى التي يفكر فيها غريفت!

ردَّ بسرعة: «وهل تعرفين أنت؟».

هزت رأسها نفياً.. فلم يفضِ لها غريفت إلا شيئاً عن رغبته في أن يكون موسيقياً، أما نوع الآلة التي يريد العزف عليها فلم

يذكرها.

- لم نناقش الأمر مطلقاً.. لقد عرفت بخططه قبل سفرنا بقليل.. وكان أمامي ما يشغلني عن طرح الأسئلة.

- وهل ستتزوجين رجلاً لا تعرفين حتى ذوقه في الموسيقى؟

دفعت سخريته التورد إلى وجنتيها.

- لم يكن الأمر مهماً. ما كنا نحضر غير مسرحيات.

نظر إليها ڤيرن تلك النظرة الثابتة المثيرة للاضطراب، فشعرت بأنها أخطأت في الرد عليه:

- ربما يكون غريفت أذكى مما أتصور.. يبدو أنه لم يظهر ولعه بموسيقى البوب خشية أن تبتعدي عنه.

ردت بسرعة:

- ما كنت لأبتعد لسبب كهذا.

قال بصوته الهادىء المدمر:

- حين ترك المنزل كان مجنوناً بالعزف مع فرقة، وكنا نأمل أن يكبر ويتخلى عن الفكرة ويشغل فكره بأشياء أخرى. ولكننا كنا مخطئين، وهذا أمر مؤسف، فعازفو الغيتار «الدزينة بعشر ستات» وهم كثر في الجزر. هل أنت على استعداد للعيش متشردة على الشواطىء، تجوعين على أمل أن يصل يوماً إلى القمة؟

صاح غريفت محتجاً قبل إيدن:

- رويدك! لن يجوع أحد.. ولماذا أجوع؟

ردَّ ڤيرن بصراحة قاسية:

- لا تتوقع أن تموّل مؤسسة هوفمان ميولك الفنية.. فالشركة شركة وحذار أن تتوقع منها فلساً إن لم تعمل فيها.



بدا غريفت نادماً على إعلانه نواياه، متمنياً لو احتفظ بالأمر حتى فرصة أخرى ملائمة. لكن الوقت فات، وڤيرن سيكون دون رحمة في معارضته. وبما أنها تعرف غريفت جيداً توقعت أن يكون إذعانه مسألة وقت فقط. قال غريفت:

- لديَّ مالي الخاص الذي ورثته عن أبي وعليه لا أجدني بحاجة إلى مال الشركة!

ضحك ڤيرن ضحكة قصيرة:

- إرثك يأتي من المصدر نفسه وليس هو بمنّة من الله.. لذا عليك العمل لتعيل نفسك.

عبس غريفت، وبدا نادماً مرة أخرى على فتحه هذا الجدال، فقال غاضباً:

- إذن، لا أريد ذلك المال اللعين! سأتدبر أمري بدونه!

- وإيدن؟

أحست إيدن بتضرّج وجنتيها خاصة عندما أصبحت مراقبة من قبل العينين الرماديتين، لكنها لم ترفع نظرها إليه.. قال غريفت:

- إيدن تفهم ما أشعر به.

رد ڤيرن بهدوء ساخر:

- هذا ما تظنه أنت إنما هل هي مستعدة للقبول بما تجنيه من عزف الغيتار؟ هذا إذا وجدت فرقة ترضى بأن تعمل معها، أو نادياً ليلياً يحتاج إلى عازف في الحانة. أم تراك تفكر أن تعمل إيدن لتعيلك وتعيل نفسها؟

صاح غريفت ساخطاً:

- أوه.. بالله عليك.. لست مفلساً! فأنا حتى بدون مال هوفمان قادر على تدبر أمري.

قال ڤيرن:

ـ ألاحظ أنك قلت «تدبّر أمري»

هز غريفت رأسه:

ـ هذا شأني وحدي. اللعنة! دعك من الأمر!

وما أدهشها أن هذا ما فعله ڤيرن، فقد هز كتفيه ثم صبَّ اهتمامه على طعامه، أما غريفت فجلس بعض الوقت مرتبكاً، وخلال ذلك عمَّ الصمت المائدة وصبَّ ڤيرن نظرات متهمة على إيدن. كانت إيدن قد وجدت صمت السيدة هوفمان أثناء المناقشة غريباً.. ثم استنتجت أن العجوز تعرف جيداً أن حفيدها الأكبر قادر على تولي الأمر.

عندما انتهى الطعام أخيراً، وغادروا المائدة، تبادلت السيدة بضع كلمات مع ڤيرن، ثم استدعت غريفت إليها، تطلب منه التنزه في الحديقة.. ولم يكن من السهل رفض طلبها، لكنه فضّل لو يخرج مع إيدن التي نظر إليها عاجزاً حين أمسكت العجوز بذراعه قائلة:

ـ فتاتك ستكون آمنة غريفت.

قادت مرافقها الكاره إلى الحديقة، وأكدت ابتسامة ڤيرن البطيئة شكوكها، فأرسلت قشعريرة إلى أوصالها.. استخدم ڤيرن يده ليشير إليها بالجلوس مرة أخرى، لكنها هزت رأسها رافضة، وارتدت على عقبيها تقصد أبواب الشرفة الزجاجية وكأنها تود الهرب.

ـ أود التنزه قليلاً أيضاً.. بعد هذه الوجبة..

ـ ابقي هنا!

كانت العبارة على الرغم من نعومة نبرتها أمراً. وما زاد من



قوة الأمر، وضع يده بخفة على ذراعها العارية. استحوذت عيناه على عينيها حين رفعتهما إليه، ولكن حركته هذه فاجأتها لأنها جاءت قاسية كعينيه.

ـ لن آكلك.. أريد محادثتك.

حاولت التحرر من قبضته قائلة:

ـ لا أريد محادثتك.

ابتسم وردَّ بهدوء: «خيبت أملي بك.»

نظرت إليه ثانية بارتباك وهي تتمنى لو كان أقل خطورة وجاذبية. هو ليس وسيماً كغريفت، لكن جاذبية غريفت يسهل التعاطي معها أما جاذبية ڤيرن فأقوى وأكثر فعالية بحيث يصعب مقاومتها.

كان يرتدي بذلة خفيفة وقميصاً أزرق شاحباً أضفى على عينيه الرماديتين برودة ثلجية. ولكن كانت تخيم على برودتهما دلائل قوة كامنة في كل تحركاته ورشاقته البدائية المثيرة.. إنه أخطر من أي رجل التقته من قبل، وقد تجاوبت مشاعرها معه بطريقة أزعجتها.

ومع ذلك ارتدت قناع الجرأة، ونظرت إليه مباشرة، ولكن نظرتها هذه أضافت مزيداً من الاضطراب فعادت تشيح وجهها وقالت له بصوت أجشّ:

ـ أظنني أعرف ما تود قوله. لكن اعلم أنني أرفض التباحث بشؤون غريفت في غيابه.. لقد تآمرت أنت والمدام حتى يبتعد!

كان يبتسم وعيناه تسخران من سذاجتها.

ـ أَوَ لاحظتِ ذلك؟ حسناً.. لن أنكر أننا ناورنا لنصل إلى ما نريد...

- ماذا تريدان؟

- حسناً.. هناك ما أود قوله لك ولكنني لا أستطيع ذكره أمام غريفت... ولو عرف به لافتعل ضجة!

- وله الحق في افتعالها. أظنك تود محادثتي عن رغبته في العمل موسيقياً عوضاً عن العمل في مؤسسة العائلة.. ولا أعترض على ذلك بل أعترض على أن تحدثني من وراء ظهره.

مطّ ڤيرن شفته السفلى قليلاً، ونظر إليها بثبات. ويده ما تزال على ذراعها.

- كلامك ساذج وأراك أيضاً ساذجة. ألستِ كذلك إيدن؟

- فكّرْ كما تريد. فلن أتحدث عنه أو عن خططه إلا إذا كان موجوداً ليعرف ما يُقال عنه.

- ظننتك العكس.

كانا يقفان داخل الأبواب مباشرة. الريح الخفيفة حركت الشعر على عنقها، وحملت معها مزيجاً من عبير الحديقة خاصة عبير الزهور الوردية وعبير زهر «كأس العسل»، المعترشة تقريباً حول المنزل كله.. كان المنظر غريباً وجميلاً بحيث لا يجوز إفساده في جدال عائلي.. ندمت إيدن لأنها مضطرة إلى مقابلة هذا الأخ القاسي القوي الإرادة.

ارتفعت اليد الممسكة إلى ذراعها الباردة فراحت تجول جيئة وذهاباً مثيرة فيها دغدغة بطيئة. ثم ثبّت نظره إلى عينيها عدة لحظات قبل أن تلامس بسمة خفيفة شفتيه.

- هل دفعته إلى هذا؟

التفتت إليه بسرعة:

- لا.. لم أفعل!



- كنت أتساءل فقط!

تركها، ليخرج علبة سكائر من جيب سترته، فلاحظت كما حدث سابقاً أنه لم يعرض عليها واحدة.. عندما أشعل سيكارته تعالت سحابة دخان أزرق بعض الوقت فحجبت عنها وجهه ولكن ذلك لم يمنع عينيه من مراقبتها، فأحست بقشعريرة باردة تجتاح جسمها. إنه قادر على إثارة الاضطراب بعينيه، والمؤسف أن أنوثتها تستجيب له بشكل خطير.

- لكنك لا ترغبين في أن يتخلى عن مؤسسة هوفمان يا إيدن؟

نظرت إليه، غير واثقة مما يعني، ثم بدا لها أن هناك تفسيراً واحداً، فاحمرّ وجهها، ولاحت نار خضراء في عينيها وهي تقول له:

- أنت لا تعرف شيئاً عن مشاعري.. أنا لست ممن يجري وراء المال، سيد هوفمان.. لذلك لن أبالي بما يفعله في سبيل جني قوته.

- أريد أن أضعه في الموضع الذي أعدّه له أبوه، إنه من آل هوفمان، ومكانه الطبيعي في الشركة.

- مكانه الطبيعي حيث يكون سعيداً!

لاحظت شدة غضبه عندما أطفأ سيكارته وذلك قبل أن يلتفت إليها واضعاً إحدى يديه على إطار النافذة قرب رأسها، كان قريباً جداً منها حتى أحست بمشاعرها تلتهب بنيران يبعثها إليها قربه منها... دفعتها تلك الدلائل المشيرة إلى القوة الكامنة فيه إلى أن تشبّهه مجدداً بقط ضخم يربض مستعداً للهجوم.. لذا حبست أنفاسها حين مال إلى الأمام فجأة:

- يريد غريفت حصته من الحلوى ليأكلها.. يعرف أنه غير قادر على إعالة نفسه، ناهيك عن إعالة زوجة شابة جميلة تكلفه الكثير، خاصة مما يجنيه من العزف على الغيتار.. اسمعي لا أريد أن أنتظر حتى يعترف بالحقيقة، أريده في الشركة فوراً وعليك أتكل في إقناعه.

توضح لها أخيراً هدفه من محادثته لها على انفراد، فنظرت إليه وهي لا تكاد تصدق:

- أنت تريد! أتتوقع حقاً أن أحاول إقناع غريفت بالتخلي عما يريد لينسجم ذلك مع مخططاتك؟

ابتسم ببطء فأحست بقطع ثلج تتدحرج على ظهرها مجدداً..

- ومخططاتك أيضاً... أنت أجمل من أن تقتفي أثره جائعة إلى أماكن قذرة.

- لم يصل الأمر إلى هذا الحد.. لغريفت ماله الخاص وهو حرّ في أن يفعل ما يشاء.

- هل سيدوم ذلك المال؟ ماذا يحدث حين ينتهي ماله إيدن؟

دفعتها إلى الاحمرار تلك الابتسامة أو شبه الابتسامة المثيرة مضافاً إليها نظرة ساخرة طافت بها ببطء شديد من رأسها إلى أخمص قدميها لتتوقف أخيراً على ياقة فستانها:

- إنها المرة الثانية التي تشير فيها إلى شيء كهذا. وأنا لا أفهم كيف تصدر حكماً متسرّعاً وأنت لا تعرفني! اسمع سأؤازر غريفت وإن كان لا يملك بنساً واحداً.

أضاف بصوته الرخيم:

- حتى يفرقكما الموت؟

- هذا محتمل جداً!



علّق بهدوء وهو ينظر إلى رأسها:

- تقول جدتي، إن حمراوات الشعر يتفجرن كالألعاب النارية في وقت ما.

- قل لها الآن إنها على حق!

ظلّ صامتاً برهة ولكنه كان قريباً منها إلى درجة جعلتها ترى خطوطاً عند زاوية عينيه. كان ينظر إليها بثبات، بعينيه الباردتين الرماديتين، الكثيفتي الأهداب اللتين اقترحتا أشياء تفضل عدم التعرف إليها.. في أول لقاء لهما ادّعى أنه أرفع شأناً من الاهتمام بطفلة ولكنه مهما كان رأيه بها، وبشبابها النسبي، فهو يوضح دون شك أنه ليس مترفعاً عن اشتهاء خطيبة أخيه..

أحست إيدن بالضعف وهي تتجنب النظر إليه. قال بنعومة:

- إذن.. لن تتعاوني؟

كانت ترتجف لأن مشاعرها تتجاوب بإلحاح مع حيويته ورجولته ولكنها رغم ذلك قالت بإصرار وإن بأنفاس مقطوعة:

- لن أحاول إقناع غريفت بالتخلي عما يريده.

مدَّ يده إليها بغتةً فوضعها على خصرها وعندها راحت أنامله تضغط عليها محرّكة فيها مشاعر جديدة، ومشعلة في نفسها نيراناً. قال بصوت أجشّ:

- لو أنه نصف الرجل الذي أظنه، لكان قلبه في اتجاه آخر مختلف.

اشتدت الأصابع القوية ساعية أكثر فأكثر إلى إقناعها بالانجذاب نحوه، والذي حدث أنها عجزت عن المقاومة.

- سيد هوفمان...

- ڤيرن!

خرج اسمه عميقاً منه فشدَّها إليه بطريقة ردتها إلى الواقع.

ـ لا يحق لي تغيير رأيه.

ـ بل يحق لك لأنك شريكة المستقبل. أم أراني مخطئاً؟

استردت على الأقل بعض رباطة جأشها:

ـ حسناً.. ربما.

لكن اليد القابعة على خصرها ما تزال تحاول إقناعها بالاقتراب منه أكثر فأكثر وأكملت يائسة:

ـ لكنني لن أستطيع تعديل رأيه بل يحق له أن يجد الفرصة ليثبت ما هو قادر عليه وعليك أنت أيضاً أن تدعه يثبت شيئاً لنفسه.

قال بخشونة مطاطية:

ـ بالله عليك، أنا لا أحاول تخريب خططه للمتعة فحسب!

ـ ولكنك تبدو لي عازماً على تنفيذ رأيك غير مراعٍ اهتمامات غريفت!

شاهدت إيدن بوضوح كيف اشتدَّ ضغط شفتيه وكيف قست يده على خصرها بطريقة مؤلمة، فعلمت أنه يصبح مخيفاً حينمايفقد أعصابه.

عاد صوته يفحّ بعمق:

ـ إيدن.. ألن تحاولي؟ ألن تساعديني على إعادة غريفت إلى صوابه؟ لا أرجو منك إلا أن تنظري إلى الأمر من وجهة نظري.

امتدَّ الزمن دقيقة تقريباً قبل أن تدرك إيدن أنها، وبكل جرأة، تتعرض للإغواء لتفعل ما يريد مع ذلك الصوت الرخيم المغناطيسي، فهزت رأسها إلى الأمام والوراء لتتحرّر من تأثيره.

ـ لا!.. لا.. لا!.. لن أفعل.. لن أدفعه إلى ما لا يريد.



سرعان ما طالعها لمعان الإعجاب بتصميمها، والإدانة لرفضها التعاون. أخذ يهزُّ رأسه:

ـ إذن.. ستندمان معاً!

ـ أنا.. لا أظن هذا.

ترك يده تستقر على خصرها، ونظر إليها فتجاوب كل عصب وعرق في جسدها مع تلك النظرة.. كانت يداها مشدودتين، وقلبها خافقاً بعنف حتى وجدت نفسها غير قادرة على رفع بصرها إليه، أما رأسها فراح يدور ويدور، فسمعته يقول لها:

ـ ليتك لا تقاوميني في هذا، إيدن..

كاد صوته الناعم لا يكون مسموعاً فوق خفقات قلبها الذي ازداد خفقاناً حين وضع يده الأخرى على خصرها، وجذبها إليه..

حرارة جسده النابض بالحيوية، لامستها بخفة في البداية.. ولكنه سرعان ما وضع كلتا يديه على ظهرها وجذبها إليه بقوة حتى أحست بعضلاته كلها، وبتوتر هذه العضلات ولكن ما أدغش عينيها رؤية البريق الذي غيَّر لون عينيه الرماديتين إلى لون قاتم عاصف. قال واعداً بصوت هامس أجشّ:

ـ ستندمين!

ثم هوى برأسه بسرعة...

لم يكن لدى إيدن من الوقت إلا ما سمح لها بسحب نفس عميق قبل أن ينقضَّ عليها بخشونة متوحشة، مجبراً إياها على التجاوب.. تجاوب لم تستطع مقاومته.. كانت ذراعاه تشدانها بتوتر، ثم امتدت يده الكبيرة لتداعب رأسها بأصابع طويلة، وتأسر رأسها استجابة لما يريد.

ـ لا..!

كانت همسة الإنكار مذعورة، فدفعته بكلتا يديها على صدره العريض تحاول التحرر.. لكنه ظلَّ يحتضنها بحزم.. لم تكن تخشى هجومه الجسدي أو تتألم منه بقدر ما خشيت من عنف تجاوبها.. ڤيرن هوفمان رجل خطير، هذا ما عرفته الآن. ولكن تقاربهما الحميم نسف كل مقاومة تملكها بطريقة لم تحلم بها قط، لذا عليها ألا تسمح بذلك في مرة أخرى.

مرت بضع لحظات قبل أن تسترد أحاسيسها المشوشة لترفعه بعيداً عنها بشكل حاسم، كانت عيناها الخضراوان منخفضتين، زائغتين.. ثم تحررت من بين ذراعيه وهرعت إلى الحديقة بساقين غير قادرتين على حملها... لم تكن تدري ما إذا كانت تريد البحث عن غريفت أم لا ذلك أن مشاعرها المشوشة لم تمهلها وقتاً للتفكير السوي. ثمة أمر واحد هى واثقة منه وهو أن لڤيرن اليد الطولى في النهاية.

* * *

كانت حتى بعد أسبوع على وجودها في هذه الجزيرة ما تزال مشوشة الذهن مسحورة بحدائق منزل آل هوفمان، التي تحيط بها مساحات واسعة غنية بأشجار الأناناس مصدر ثراء العائلة.

كانت تعلم أن غريفت ما كان ليسير في الحدائق لولاها لأنه لو خُيّر لاختار الانطلاق بالسيارة إلى مكان ما. ولكنها اليوم تحسُّ برغبة في التنزه بين الألوان الرائعة، وبين العطور الزكية..

جذب غريفت رأس غصن معترش ضخم يتسلل بين الأشجار، فاقتطف منه زهرة كبيرة صفراء دسَّها خلف أذن إيدن



اليسرى، فبدت متوهجة أمام شعرها الأحمر، وهذا ما أرضاه فهز رأسه إشارة إلى رضاه قائلاً بابتسامة:

ـ هاك.. هذا يعني أنك بتَّ خطيبتي.

ـ صحيح؟ ما اسم الزهرة؟

ـ اسمها «ألاماندا». إن شئت اختاري غيرها وإن لم تعجبك فلا بأس بأخرى توضع وراء أذنك اليسرى.

ـ أوه.. لا.. إنها جميلة!

ابتسم غريفت لها وهما يعودان إلى المنزل، فشعرت للمرة الأولى أنه ينتمي إلى ما يحيط به من سحر ملون، ولكنه رغم ذلك بدا بعيداً عنها.

ـ إنها أجمل في موقعها الحالي... على فكرة، لم تتح لي فرصة السؤال عما قاله لك ڤيرن ليلة أمس؟ هل أراد أن تقنعيني بالعدول عما أريد؟

ـ نعم لقد طلب مني إقناعك بالعدول عن فكرة احتراف الموسيقى. لكنه لم ينجح.

رد بثقة:

ـ هذا ما توقعته منك.. فأنا أعرف أنه لن يقدر على التلاعب بك كما يفعل بمعظم النساء. أنتِ أذكى منه بكثير، ولا تنظرين إليه نظرة الإناث الأخريات لأنك لا تثقين به.

ـ لم أقل هذا!

هز رأسه وكأنه يعرف الكثير:

ـ لكنني أعرف ڤيرن جيداً.

ـ أتعرفه حقاً غريفت؟

ربما، في رنة صوتها ما جعله ينظر إليها مقطباً.



www.elromancia.com

- لماذا؟.. بالطبع أعرفه! لماذا هذا التلميح حبيبتي؟

هزت كتفيها بلا مبالاة، ولكنها ودّت لو أخفت عنه شكوكها فآخر ما تريده هو مناقشة حديثها مع ڤيرن.. قالت له:

- لم أكن ألمّح إلى شيء بالضبط.. إنما ظننت أنك لا تعرف أخاك جيداً كما تعتقد.

- وماذا يعني كلامك هذا؟

ضحكت إيدن لأنها تغرق كلما تفوهت بكلمة:

- أتساءل إن كنت تعرف إلى أي مدى قد يصل ليجذبك إلى الشركة.. إنه مصمم جداً.

- وأنا كذلك مصمم! كما إنني أعتقد أنه لن يلجأ إلى ما هو درامي ما إن يدرك أنني جاد.. فلا تقلقي حبيبتي.

- ربما لا..

- ثقي بكلامي..! إيدن، طفلتي.. لا أريد أن تكرهي العجوز المسكين ڤيرن بسبب هذا.. إنه عائلتي الوحيدة وأنا أحب ذلك الشيطان وإن كان يحاول إجباري على شيء بتلويح العصا الغليظة في وجهي.

- أنا لا أكرهه لكنه رجل خالٍ من الرحمة..

قالت ذلك لأنها تعلم أنه مهما قال أو فعل لن تستطيع أن تكرهه.

- بكل تأكيد هو هكذا.. إنه من آل هوفمان! إنما لا تقلقي، فمن المستبعد أن يحاول شيئاً معك.. خاصة بعدما أكدتِ له عدم تعاونك معه.

بدا لها معتداً بنفسه إلى درجة عجزت معها عن القول له إنه مخطىء.



## ٣ ـ كاهنة الشمس

لم تشاهد إيدن الجانب المنتج من أملاك آل هوفمان لأن غريفت لم يكن ميالاً إلى أن يريها إياه علماً أن من المستحيل عدم ملاحظة الفدادين الشاسعة المليئة بأشجار الأناناس.

ولكنها وعدت نفسها بأن تدفعه إلى مرافقتها لرؤية الأملاك يوماً ما. أما في الوقت الحاضر فهي قانعة بالتنزه حتى آخر حدائق القصر حيث يبتدىء القسم التجاري..

قرّر غريفت أن يتمرن يومياً ساعتين في العزف على الغيتار ليؤثر في الجدة وڤيرن. هذا ما أبلغه لإيدن، ولكنه لم يفكر في أنه بعمله هذا سيتركها وحدها مرتبكة.

جلست نصف ساعة تحت ظلّ الشرفة المسقوفة تقرأ مجلة.. ولكن قلة الحركة غير الطبيعية جعلتها تسأم من التكاسل، فقررت التنزه.

بعدما أمضت وقتاً طويلاً مستمتعة بجمال الحدائق، وجدت نفسها بين صفّ ضيق من أشجار النخيل التي تفصل الحدائق عن حقول الأناناس.. أقنعت نفسها بالمخاطرة إلى الأمام فسارت بين الحقول، ثم توقفت لحظة وظهرها إلى إحدى الأشجار تنعم بفيئها.

كانت سعف النخيل أشبه بخيمة من القش فوق رأسها،

ولكن شعاعاً وحيداً من أشعة الشمس تسلّل من بينها.. كان ذلك الشعاع يلامس خديها بأصابع ذهبية دافئة، فابتسمت ورفعت وجهها مغمضة عينيها لتحميهما من لمعانه، مستندة إلى جذع النخلة تلفُّ ذراعيها إلى الخلف حول الجذع قانعة حيث هي.

- آه.. كاهنة الشمس!

فتحت إيدن عينيها، ثم رفرفتهما لحظات تحت الشعاع اللامع على وجهها... لم تشك في من يكون صاحب الصوت، إنما كيف السبيل إلى التعامل مع خفقات قلبها؟

- لقد أخفتني.

لم يكن ما قالته تذمراً.

- ألم تسمعي هدير الشاحنة؟

هزت رأسها: «لم أسمع شيئاً.»

أشاحت بوجهها عنه مسرعة، لأنه آخر شخص تودّ رؤيته في هذه اللحظات، ولأنها لم تكن قادرة على الابتعاد عنه ظلّت حيث هي تأمل أن يبتعد هو.

- كنتِ تحلمين حلم يقظة؟

- أعتقد هذا.. إن هذه البيئة الساحرة تثير الخيال.

التفت من فوق كتفه إلى حقل أناناس قريب خلفه.

- إنها جنة الأناناس؟

سارعت إلى هز كتفيها بلا مبالاة على أمل ألا يمكث طويلاً. كانت إحدى يديه في جيبه، أما الأخرى فحملت سيكارة. كان مرتدياً سروالاً بنياً وقميصاً أبيض يتناقض مع تقاسيمه السمراء، ولكنه أثّر فيها تأثيراً صادقاً. هذه المشاعر التي يثيرها فيها باتت تمقتها.



سألها ڤيرن، وكأن له مطلق الحق في السؤال عن تحركاتها..

- لماذا تتجولين هنا وحدك؟ إن كنت تتوجهين إلى الشاطىء فالمسافة بعيدة وشاقة إليه، هل أعرض عليك أمر إيصالك أم تراك تنتظرين غريفت ليقلّك؟

كان يختلق الأعذار ليعرف سبب وجودها هنا وحيدة ففكرت في مواصلة خداعه ولكنها عادت فعدلت عن ذلك لأنه سرعان ما سيكتشف كذبها.

- سيكون غريفت مشغولاً ساعة أخرى أو يزيد.

ارتفع حاجبه الأسود بحدة:

- مشغول؟

تضرّج وجهها من استفساره هذا فأشاحت وجهها:

- إنه في غرفته، يتمرن.

- آه.. فهمت!

ظهرت على وجهه ابتسامة بطيئة مشبعة بالمعاني دفعتها إلى الغضب فهو كما توقعت يجد في تمارين أخيه موضوعاً مسلياً.

- أشك في أنك تفهم! الواقع أن من الضروري أن يتمرن.. ولقد قرر أن يفعل هذا ساعتين يومياً.

- وكم سيبقى على هذه الحال؟

- الوقت الذي يحتاجه!

بدأت تغلي سخطاً فشدّت يديها خلف ظهرها بقوة، تلفُّ جذع النخلة ولكنها لم تعِ التأثير الذي تركه هذا الوضع على قماش الفستان الذي التصق بجسمها، وعندما وعت ذلك من نظراته تضرّج وجهها غضباً فأسرعت تغيّر وقفتها.

أضحكته حركتها السريعة، وكأنها تسليه:

- لا أفهم غريفت. ظننته أعقل من أن يتمرن على الغيتار فيما فتاته الجميلة تنتظر من يطلب ودها.

- لا أطلب ودّ أحد سيد هوفمان، فلا تخطئنّ ظناً.

كانت عيناها ترسلان إليه ناراً خضراء، أما عيناه فانخفضت أهدابهما. ڤيرن هوفمان، رجل حساس، لا يحاول إخفاء رغباته، حتى ولو شملت تلك الرغبات فتاة أخيه.. خانتها مشاعرها الخاصة مرة أخرى، ولم تستطع على الرغم من مكوثها تحت سقف بيته ما يزيد عن الأسبوع أن تكون محصنة ضد جاذبيته وسحره. قال بصوته العميق الذي يثير أحاسيسها:

- إنه أحمق..

نظرت إليه بغضب تردّ التحدي:

- ليس غريفت بأحمق.. إنه فقط، وبكل بساطة يحاول أن يثبت لك وللسيدة أنه جاد في خطته.. أمهله وقتاً ليثبت لكما مقدرته. أنت تدينه لأنه يسعى للعمل خارج إطار الشركة، فكن منصفاً واعترف أنه يعمل جاداً على تحقيق هدفه.

تحرك ڤيرن ليقف معها في الظل، فاتكأ إلى الشجرة التي تفيء إليها لافّاً إحدى ساقيه فوق الأخرى.. توقعت منه أن يكون غاضباً، لكنه نظر إليها مبتسماً بسخرية.

- إذن، هو يقوم بذلك ليؤثر فينا آملاً أن نرى الأمور من وجهة نظره.

كانت تعرف أن هذا ما يفكر فيه غريفت، ولكنها لم تشأ أن يعرفه ڤيرن.

- أنت لا تأخذه على محمل الجد؟



كان هذا أكثر مما تستطيع تحمله.. فهي مضطرة للصراع مع سلسلة متناغمة من المشاعر التي أثارها وجوده معها، ومضطرة أيضاً للدفاع عن غريفت. كانت تلوم ڤيرن لأنه يجبر غريفت على القيام بما لا يريده كما تلومه لأنه يحاول دفعها إلى مساعدته. إنه رجل خطير، وجذاب بطريقة تثير الاضطراب.

- لماذا عليك أن تكون متكبراً متسلطاً؟ لماذا لا تترك غريفت يقوم بما يريد ما دامت أرباحك لن تتأثر؟

تجاهل تلميحها المتعلق بالمكاسب، ونظر إليها بعينين ضيقتين:

- متكبر متسلط. أهذا رأيك بي إيدن؟

- هذا ما أنت عليه!

ظلّ ينظر إليها بثبات من المسافة القصيرة التي تفصلهما.. ثم ضحك وهزّ رأسه:

- أفهم الآن سبب اصطحابك إلى الجزيرة. إنه بحاجة إلى طبيعتك النارية ليتحداني بمسألة الانضمام إلى الشركة.

- لا شيء من هذا القبيل! إنه رجل ناضج اختار لنفسه ما يريد، لذا لا يمكنك الحؤول دون ما يشاء.

أحست بشعور غريب في قلبها عندما لاحظت طريقة ابتسامته.. سألها بصوت خفيف:

- أليس هناك شيء؟

لم تعد واثقة مما تفعل، ولكنها أحست أن ڤيرن يعرف تماماً ما يفعل.. مع ذلك هي لا تريد التخلي عن المعركة لصالح غريفت.

- أنا لا أنكر ما تقول، فنظراً للظروف، ربما رغب غريفت

في اصطحابي لحاجته إلى دعم عضوي.. ولا ألومه على هذا، فبعدما قابلتك وجدت أنه بحاجة لمن يشدّ عضده!

- أوه.. أهذا ما ترينه؟

تحداها صوته العميق الهادىء أن تستمر.. وعرفت في قرارة نفسها أنها تمادت مع مضيفها وتجاوزت الحد الطبيعي، ولكن ڤيرن هوفمان ليس مضيفاً عادياً، وبما أنه لن يتركها تنجو بما تقوله، فيستحسن لها أن تستمر خاصة بعدما وصلت إلى هذا الحد... قالت له:

- لا تنكر أنك كنت لولاي ستجبره بالقوة على الانضمام إلى شركتك البائسة!

ردَّ بهدوء:

- لا شك في هذا.. ترى هل تشجعينه على العزف لتسجلي نقطة في مرماي؟

طريقته في سحق سيكارته بقدمه جعلتها ترتجف، لذا عندما تقدم نحوها فجأة سارعت للدفاع عن نفسها بغضّ النظر عن مدى اقترابه من الحقيقة:

- أنا ببساطة أدافع عن حقه في اتخاذ قراره عوضاً عن السجود لك.

ذكرها قربه منها بالمناسبة التي حاول فيها إقناعها بالتأثير في غريفت حتى يعدل عن غايته وهذا أخبرها أنه يفكر بالطريقة نفسها الآن.. ولعلمها أن هذا ممكن، أحست بقلبها يخفق بسرعة بضربات صاخبة، فارتجفت ساقاها وكأنهما غير قادرتين على حملها.. سمعته يقول:

- ليتك تتحلين بالحكمة...



مسَّ صوته الدافىء أوتار أعصابها كلها.

- وهل الحكمة هي في تنفيذ مبتغاك؟

شهقت بصمت حينما طوى المسافة بينهما. راح دفء ذراعه يثير القشعريرة في نفسها، والعسير في الوضع عدم وجود طريقة للخلاص منه، فما من مكان تلوذ إليه لا يستطيع اللحاق بها إليه؟ ذكّرها قربه منها بأحاسيس أخرى، فازداد توترها وترقبها للمسة منه. حين مدَّ يده يمسّ النبض الصاخب بحيث لم تشعر إلا بدغدغة حساسة على بشرتها... سألها هامساً:

- لماذا تقاتلينني بهذا التصميم؟

- أنا.. أنا.. لا أقاتلك..

همسها انقلب إلى إجفال حين ضحك.

- أوه.. يا طفلتي.. فليساعدني الله عليك! أنت تتأهبين للمعركة كلما اقتربت منك. لماذا تقاتلينني إيدن؟

- ڤيرن توقف عن هذا!

أبعدت رأسها عن مناله، تحاول إخفاء عجزها عن ضبط سيطرتها على ذاتها. ولكن كيف لها ذلك ونظرته المثيرة لا تبرح وجهها؟ ردد كلامها:

- أتوقف؟

- أنت تتجاوز حدّك لتحرجني.. وإذا كنت تأمل بذلك جعلي متعاونة معك، فأنت مخطىء! إن جعلت إقامتي غير مريحة، أنتقل بعيداً إلى الفندق.. وعندها سترى كم سيمكث معك غريفت؟

- أتهددينني؟

لم تكن اليد التي أدارتها لتواجهه لطيفة، فارتجفت خائفة من

بريق الغضب المستعر في عينيه.

- كيف تجرؤين على تهديدي... أنت...

- أنا نكرة..؟

لكنها انتفضت عندما انفجر ضاحكاً:

- أوه.. لا.. لست كذلك. لا يمكن أن تكوني نكرة إيدن.. أنت أهم بكثير مما ظننته، ولك إلى ذلك القدرة على التأثير فيه لترك المنزل، إنما لا تهدديني هكذا خاصة فيما يتعلق بعائلتي القليل أفرادها.

- أنا لم أفعل...

- بل فعلت. حذار إيدن، أنا عدو شرس.

كان وجهه قريباً منها فشعرت بأنفاسه حارة على وجهها تبعث فيها رغبة عارمة تفاعلت مع حمّى الغضب.

- لن يشكل جمالك وسحرك عندي أي فرق إن حاولتِ فصل العائلة، فلن تحصدي من ذلك إلا الندم.

لم تفهم إيدن نفسها.. إنها تتلقى التهديد من رجل يعني كل كلمة يقولها، ومع ذلك لا تشعر بالخوف.. بل تحسُّ بالإثارة.. النظرة المطلة من عينيه هي التي أثارتها. كانت عيناه تلمعان بلون قاتم وكأنهما سحب عاصفة ولكن، تحت ظلّ الغضب اشتعلت رغبة متوحشة فجة.

هزت رأسها تحاول التركيز على أمور أقل خطورة.. قالت هامسة:

- أنا.. لا أرغب في التورط بنزاعاتكم.. لم أكن أعرف ما يجري حين وافقت على المجيء وليتني لم آت.

كانت عيناه تخترقانها، وتريان ما في نفسها:



- أنت لا تعنين هذا... أليس كذلك إيدن؟

لم تنكر، لأنها لا تستطيع.. كما أنها لم تدخل هذا الموقف دون سابق إنذار، فقد حذّرها غريفت من تسلّط عائلته. وكانت قد توقعت أن تجد ڤيرن أقسى مما هو عليه الآن، رجلاً خالياً من الرحمة معتاداً على تنفيذ مآربه ولكنها لم تتصور أن تجده أشدَّ جاذبية من كل الرجال الذين التقت بهم سابقاً ولم تتصور أنه قد ينسيها أحياناً مجرد وجود غريفت.

- أتحبينه؟

جعلها السؤال تنتفض فحدقت مشدوهة ثم هزت رأسها بسرعة وغضب، وقالت بخشونة:

- أنا خطيبته.. وبالطبع أحبه.

نظر نظرة ذات معنى إلى يدها الخالية من الخاتم:

- خطيبته! إنما بدون رباط أو دليل.

مرّر إصبعه على خدها فيما طافت عيناه إلى الأعلى إلى شعرها النحاسي الأصهب. ثم راحت أنامله تلاعب خصلة من شعرها الغنيّ البرّاق، وبعد ذلك وضع راحتيه على وجنتيها وجذبها إليه يقول هامساً:

- انظري إليّ إيدن.

وأطاعته لا إرادياً.

كان لدفئه من الحرارة ما حرّك دمها والمزعج أنه راح يتصرف باعتداد وثقة كما حدث في المرة الأخيرة التي لا تنساها. أنزل يديه عن خدها إلى كتفيها، ومن هناك إلى ظهرها، يجذبها متعمداً إليه، فأصيبت بالذعر بسبب ما يثير فيها من عواطف لم يستطع غريفت بعثها إلى نفسها.

قفز غريفت أمام عينيها وهي متعلقة بڤيرن، فهاج ضميرها ودفعها للتحرر من استسلامها له. حاولت تحريك رأسها، لكن يده الصلبة أمسكته بحزم أما أصابعه الطويلة فشدّت شعرها وجعلت الخلاص مستحيلاً.. وحين سمح لها ببرهة للتنفس، قامت بمحاولة جديدة للخلاص ولكنه نظر إليها بشوق ما زال يحرق عينيه الرماديتين اللتين لم تعودا باردتين.

أمسك رأسها بين يديه يتأمل وجهها فعلمت أنه سيعاود معانقتها من جديد، إلا إذا نجحت في الخلاص منه. قاومت يديه بشدة حتى تحررت، لكن قلبها كان يخفق بجنون بين جنبيها.

تمسكت بالتفكير في غريفت فارتدت على عقبيها تريد الابتعاد، ولكن يد ڤيرن أطبقت بحزم على ذراعها تستبقيها، ومع ذلك ظلت تعطيه ظهرها.. فسألها بصوت تحشرجه الرغبة:

- إلى أين؟

هزت رأسها: «عائدة إلى المنزل.»

كان ردها أقوى قليلاً من الهمس.

حفرت أصابعه عميقاً في لحم ذراعها: «إلى غريفت؟».

هزت رأسها بقوة، فأدارها إليه:

- هل أقول إنني آسف إيدن؟

لا تريد أن يتأسف فقالت بصوت أجش:

- لا بأس إن كنت آسفاً حقاً.

تركت يده ذراعها. ثم قال بصوت تنقصه الثقة:

- ملعون إن عرفت ما إذا كنت آسفاً أم لا... يستحسن أن تذهبي لتتأكدي إن كان غريفت ما يزال يتمرن.

ليتها لم تشك في أنه أحسّ بالندم والذنب مثلها.. لا يعقل



أن يحمل رجلاً مثله ضميراً، فالضمير يفسد صورته.

كان قبول السيدة هوفمان بها الشيء الوحيد الذي يهدىء روعها وقلبها. كانت السيدة حتى الآن ودود طيبة، وقد أعلنت عزمها على تحضير عرس إيدن وغريفت.

مرَّ أسبوع على لقائها بڤيرن تحت ظل النخلة، وقد استطاعت في غضون هذه الفترة تجنب البقاء معه على انفراد. كما حاولت أن تقنع نفسها أنها تكرهه، لكنها في أعماق قلبها كانت تعلم أن ما تحسه نحوه لم يكن أمراً بسيطاً كالكراهية البحتة.. إنه مفعم بالحيوية، والأحاسيس، وناضج أكثر بكثير منها، وهذا ما جعلها غير واثقة من المشاعر التي تكنّها لغريفت.

كانت تجلس أحياناً مع غريفت أثناء التمرين، وقد وجدت أنه أقل براعة مما توقعت، خاصة وله رغبة في الاحتراف. في إحدى المرات استحوذت على اهتمامه ولكن الحديث تركّز على الجدة.

- إنها معجبة بك.

ضحكت إيدن.

- وهل هذا إطراء؟

أجاب غريفت:

- بالطبع.

- اسمع. يجب ألا تظهر أمامها أنك خائف منها، فهذا ما يزعجها.

- إن ما يزعجها واقع أنني خليط عالمي: فأمي خليط فرنسي ألماني، ولم أرث منها أي دم إنكليزي وجدتي ستذكرني بذلك حتى مماتي.

- أوه.. أنت تبالغ! لماذا تخشاها أنت ولا يخشاها ڤيرن؟

- ربما لأنني أميل إلى الجبن أمامها. لقد كنت أخافها صغيراً.

- أما كان ڤيرن يخشاها صغيراً؟

- لا أدري، لقد كان في الثانية عشرة حين ولدت.

- وهل هو أكبر منك إلى هذا الحد؟

غريفت أكبر منها بسنة، وهذا ما يجعل هوة العمر بينها وبين ڤيرن أكبر مما تدرك.

- إنه فرق شاسع، ولعل هذا ما دفعه إلى تولي مسؤوليتي بعد وفاة أهلي. حين مات أمي وأبي، وتولى مسؤوليتي.. بتُّ أراه أكبر مما هو في الواقع.

- لكن توليه رعايتك ومسؤوليتك أمر شاق..

- هاي.. أنت متفقة مع جدتي، فلماذا لا تنضمين إلى نادي المعجبين به!

تضرّج وجهها، فنظر غريفت إليها بفضول...

- الآن أنت سخيف!

تنهد بعمق:

- وهل أنا سخيف؟ اسمعي أعلم أن جدتي لن تنظر إليَّ كما تنظر إلى ڤيرن.

- لكن جدتك تحبك وڤيرن أيضاً يحبك، وهو مهتم بك وبمستقبلك.

- أراك واثقة من ذلك، بل جازمة.

- لا أكاد أكون جازمة.. لكنني أعتقد أن هذا صحيح.

- أتساءل فقط كيف تعرفين مشاعره.



أحست باضطراب بسبب تهورها الأرعن، فهزت كتفيها بقلق.

- أعرف هذا لأنه أخبرني...

- أوه.. صحيح؟ ولماذا يفضي ڤيرن بسره.. حبيبتي؟ ماذا كنت تفعلين أثناء تمريناتي.

- وماذا كنت أفل برأيك؟

- أنا لا أشك فيك، بل أشك في ذلك الأخ العنيد. وإياك أن تلوميني على شكي وأنا أسمعك تقولين إنه يفضي إليك بأسراره؟

- لم يكن هناك تبادل أسرار بل مجرد حديث.

- يتعلق بعضه بانخراطي في الشركة؟

- حتماً..

- أفّ له! إنه يضغط عليك مجدداً!

- لم يضغط عليّ. وما كان هذا ليفيده، فمن العسير إقناعي غريفت.. لذا لن أعدل عن رأيي، فالقرار قرارك في النهاية.

- إذا لم يضغط عليك لفعل ما يريد، فماذا فعل إذن إيدن؟

اشتدَّ ضغط يده على يديها فجأة وأكمل متمتماً:

- حسناً حبيبتي؟

حاولت سحب يديها منه، ونظرت إليه موبخة:

- لا أحب أن تستجوبني وكأنك تشك في أنني أتآمر عليك.. أنا لت مجرمة غريفت!

- يا الله، طبعاً أنت لست مجرمة.. حبيبتي أنا آسف، لقد أفسدت عليه خططه لذا هو غاضب.



www.elromancia.com

أحست بالذعر:

- أوه لا.. أرجوك غريفت.. لا تقل أو تفعل ما تندم عليه بسببي. ثق أن ڤيرن سيرى الأمور من وجهة نظرك عاجلاً أم آجلاً.

مطّ شفتيه بارتياب:

- لا أستطيع تصور هذا فمن العسير إقناعه. وهو مصمم على انضمامي إلى الشركة.. إلا إذا...

وفرقع بأصابعه فجأة، ولكن وميض عينيه أقلقها:

- إيدن.. حبيبتي.. أتمررين لي كلمة...

- لا غريفت!

أرعبتها الفكرة، لكن غريفت تجاهل الاعتراض ومضى بتصوراته.

- قد ينجح هذا.. لا يمكنه مقاومة امرأة جميلة. لماذا لا تخدعينه حبيبتي؟

- غريفت.. لا.. أرجوك.. لا أستطيع!

قطب قليلاً دليل نفاذ صبر:

- بالله عليك.. لمَ لا؟ من المفيد أن نلاعبه باللعبة ذاتها.

- لن أفعل غريفت!

- لا أفهمك.. لماذا لا تحاولين؟

- لأنني لست أداة تستخدمانها لتكسبا ما تريدان. في البداية استخدمتني أنت، ثم حاول ڤيرن، وها أنت تعود مجدداً.

- أنا؟ متى طلبت منك مساعدتي قبل الآن؟

- أتظن أنني لم أدرك ما فعلت؟ لماذا أصررت على اصطحابي معك؟ لست غبية غريفت.



- اصطحبتك لتقابلي عائلتي.

- بل أردتني حصناً تلوذ إليه. لا تنكر هذا غريفت!

للحظات لم يقل شيئاً، ثم التقت عيونهما لوقت قصير:

- حسناً.. أعترف بهذا.. وأنا آسف لأنني لم أكن صادقاً معك.

مال إليها يعانقها فتذكرت عناقاً آخراً مثيراً.

- أحبك.. وسأضيع بدونك! ألن تساعديني في إقناع ڤيرن ليتركني وشأني.

- ماذا تطلب مني بالضبط؟

- لا أريد إلا أن تضغطي على ڤيرن العجوز؟

- وهل أستخدم الطريقة ذاتها التي عليَّ استخدامها معك؟

- أجل.. أعتقد هذا.. لمَ لا؟

سحبت نفساً عميقاً:

- يريد ڤيرن أن أقنعك لأنني خطيبتك معتقداً أن لي طرق إقناع خاصة لا يملكها هو.. أهذه هي الوسائل التي تريد مني أن أستخدمها معه يا غريفت؟

أدركت فجأة ما يعني.. وأخفض غريفت رأسه:

- يا الله! ما عليك سوى محادثته.

- لكن ڤيرن.. ليس ممن يسهل التحدث إليه فقط..

مضت بضعة أيام قبل أن تخرج إيدن في نزهة وحدها.. كانت قد سئمت من بقاء غريفت ساعتين أو أكثر يومياً في غرفته ليتمرن، بينما يواجهها الضجر وقد أخبرته بهذا، فاقترح أن تجلس معه.

سارت لا إرادياً بين حقول الأناناس في اتجاه القسم الحرجي



www.elromancia.com

الذي يلوح فوق منحدرات الأملاك حيث تنمو الفاكهة. كان الطريق صعوداً ولكن حالتها الذهنية المشتتة دفعتها إلى اتخاذ طريق كهذا.

فيما كانت ترتقي هذا الطريق الوعر وصولاً إلى قمة الجبل البركاني رأت أنواعاً من الأشجار لم تَرَ شبيهاً لها من قبل. كانت تنعم بفيئها وبرودتها حتى وصلت إلى ممر وعر امتد أمامها، فوقفت لحظات تلتقط أنفاسها لمتابعة المسير بحثاً عما ستجده في نهاية الممر. سمعت أثناء المسير خرير مياه جارية فاستحوذ عليها التهور والتفتيش إلى مصدر الخرير فإذا بها أمام بركة صخرية راحت تشقّ طريقها إليها عبر الأشواك والشجيرات الكثيفة.

كانت البركة شبه حوض أجوف في الصخور، يغذيها شلال صغير هو على الأرجح قادم من قمة البركان.

بدت لها البركة عميقة باردة، مغرية، لا تقاوم أبداً.. فوقفت بضع لحظات عند حافتها، تنظر إلى انعكاس صورتها في الماء، المتراقصة حوله أشباح الأشجار. كان للمكان سكون غريب يبعث إلى النفس الراحة والاسترخاء. ابتسمت بعد لحظات لصورتها.. همست، تتطلع بسرعة حولها:

ـ لمَ لا؟

المكان بعيد عن الأماكن السياحية والعمال لا يحتمل أن يتركوا أعمالهم... أخيراً... تغلبت سقسقة المياه الصافية وبرودة البركة المغرية على الشكوك التي ساورتها، فراحت تخلع الملابس التي كانت ترتديها..

لكن، حتى في هذه الظروف لم تستطع التخلي عن كافة ملابسها، فاحتفظت بالقليل منها عليها.



كانت المياه أبرد مما توقعت إيدن، لكنها سرعان ما أصبحت ممتعة فطفقت تسبح باسترخاء، تحسُّ بمشاعر غريبة من الإثارة والانفعال تبعثها إلى نفسها المياه الناعمة.

شقّت طريقها إلى حيث تتساقط المياه ناثرة رذاذها فوق الصخور. بعد لحظات وجدت موطىء قدم رفعها حتى الخصر عن مستوى البركة، ووجدت أنها تحت الشلال مباشرة، فرفعت ذراعيها إلى الأعلى، تاركة المياه تنساب على ذراعيها فجسدها. كان شعرها الأحمر قد اشتدَّ اسوداده فأصبح رقيقاً مسترسلاً وزاد استرساله عندما ردت رأسها إلى الوراء.

لم يكن يحدق بها إلا خرير المياه الناعمة ولكنها حين نظرت من بين المياه المنسابة فوق وجهها، لمحت صورة تقف في الأعلى على الصخور فوقها، صورة جسد طويل مفتول العضلات شامخاً كالطود فوقها. ولكنه سرعان ما اختفى قبل أن تتأكد من وجوده.

ارتدّت بشكل غريزي نحو المياه العميقة، تنفض ما علق من ماء على شعرها وأهدابها لترى بوضوح ثم راحت تتخبط في الماء سعياً إلى السيطرة على خفقات قلبها المفاجىء. كان جسدها ينبض بإثارة والغريب أن خيالها تصور أن الواقف هناك هو ڤيرن هوفمان ولكنها عادت فنهرت نفسها فما رأته دون ريب من وحي خيالها، إنه سراب ووهم ولّدهما الضوء المتنقل بين المياه المنسابة على وجهها.

ولكن قلبها رغم ذلك ظلَّ يخفق بسرعة أثناء عودتها سباحة إلى المكان الذي تركت فيه ملابسها.. أقنعت نفسها أن ما شاهدته سراباً حتى هبط شيء ثقيل على الماء قربها، أرسل رذاذاً

كثيفاً إلى الأعلى، أعمى بصرها للحظات، ولكن ما هي إلا هنيهة حتى رأت هذا الثقل يغوص في القعر.

كانت قد وصلت إلى حافة البركة، فتمسكت بطرف الصخر الخشن، أما عيناها فراحتا تنظران برعب وجنون إلى ما حولها ولكنها لم تجد دليلاً يشير إلى انهيار ترابي أو صخري. غير أن هذا لا ينكر سقوط حجر كبير على بعد إنشات منها. فجأة أحست بأن الجنة المحدقة بها تثير ذعرها لسبب ما ولكن ما هي إلا لحظات حتى التقطت عيناها صورة كما حدث قبل قليل، فنظرت إلى الأعلى، إلى الجرف الصخري المرتفع...

كان بصرها الآن أكثر وضوحاً وصفاءً بحيث لم تجد صعوبة في رؤية صورة امرأة طويلة ترتدي ثوباً أبيض يتدلى عليه شعر قاتم يلتفّ حول وجه بيضاوي، وعينين لوزيتين غريبتي الشكل.. العينان هما اللتان أسرتا نظر إيدن المذهول، فقد كانتا تبرقان بشرّ غير مخفي جعلها ترتجف، وأمام نظرها انحنت المرأة لتلتقط شيئاً عن الأرض أمامها..

حين استقامت، حبست إيدن أنفاسها، فقد كانت تحمل كتلة ضخمة من الصخر بين يديها، وقفت لحظات تنظر إلى إيدن بعينين قاتمتين حقودتين، ثم رفعت يديها فوق رأسها.. ولو استطاعت إيدن ساعتئذ أن تصرخ لصرخت. لكنها كادت لا تصدق أن ما تراه يحدث حقاً.. فحدقت، وكأنها متوحشة إلى الجسد الطويل النحيل، والصخرة الكبيرة في يديها..

ـ لا.. لولا..!

انتفضت إيدن وعادت إلى وعيها حين برز ڤيرن هوفمان من لا مكان ليمسك بمعصمي المرأة. راقبت إيدن المشهد فوقها



بإحساس من يشاهد حركة على خشبة المسرح...

ارتجفت من هول الصدمة، فتعلقت بقوة بحافة البركة الصخرية.. وكان من البديهي والطبيعي أن تصرخ ذعراً، حين تدحرجت الصخرة التي ارتطمت بالصخور قبل أن تصطدم بالمياه المنسابة تحت الشلال. تبع هذا صمت قطع الأنفاس، لكنه لم يكن صمتاً تاماً. إذ سرعان ما ارتفع صوت ڤيرن قلقاً.

ـ إيدن؟

حين تجلّى الماء ثانية، استطاع أن يراها، لكنها لم تدرْ رأسها، وأبقت ظهرها إليه رافضة الرد عليه. فليرَ بأمّ عينه أنها لم تصب بأذى، وأنها لا تنتظر إلا ابتعادهما كلاهما. ثم ما هي إلا لحظات حتى سمعت جلبة وأصواتاً حادة غاضبة، فعلمت أنها أصبحت وحدها وأسرعت تنحني تلقي بجبهتها فوق ذراعيها المبللتين تنشد الراحة.

كانت ترتجف كورقة في مهب الريح.. أسنانها تصطكّ ويداها ترتجفان أثناء ارتدائها ملابسها.

حين برزت من الغابة وجدت كما توقعت شاحنة مركونة تحت الأشجار، وڤيرن وراء مقودها ينتظر وصولها. عندما لم تتقدم إليه ترجّل من الشاحنة ولحق بها.. كانت يده على ذراعها خفيفة لطيفة حتى أحست أنها صغيرة جداً ومعرضة للخطر.. كانت لمسته تشير إلى ما شاهده من فوق.

ـ سأصطحبك إلى البيت.

لكن إيدن هزت رأسها:

ـ أستطيع السير.

ـ إن من الخير نظراً للظروف أن أقلك بالسيارة. فلنذهب..

هه؟

التفتت إليه بسرعة تسعى إلى إثارة الموضوع الذي تعلم أنه يفكر فيه كما تفكر فيه هي، وبدلاً من الاختباء وراء صمت لا يطاق قالت:

- أتظنني أخطأت بنزولي إلى البركة؟

- أبداً يؤسفني ما حدث.

جعلتها برودته تستشيط غضباً:

- وكيف عرفت بوجودي؟

- لاحظتك تتوجهين إلى هذا المكان فأردت تحذيرك من الأخطار التي قد تتعرضين إليها من فوهة البركان فلحقت بك ويبدو أن لولا لحقت بي بدورها. أعتقد أنها فاجأتنا.

سمحت له أن يقتادها إلى الشاحنة على الرغم مما جاهرت به من رفض.. وقد بدأت الآن تحسُّ بالهدوء. سألته:

- هل هي لولا كورد - مانيارد؟

نظر إليها رافعاً حاجبه:

- أعتقد أن غريفت أخبرك بأمرها.

أجلسها في الشاحنة، ثم استوى وراء المقود وراح يدرس تعابير وجهها قليلاً وذلك قبل أن يمسك ذقنها بيده ليرفع وجهها إليه.

- ماذا قال لك بالضبط عنها إيدن؟

لم ترد فوراً.. كانت تفضل العودة سيراً عوضاً عن الجلوس متضايقة من حرارة الشاحنة، منزعجة مما يثيره فيها قرب هذا الرجل منها. أخيراً قالت:

- أخبرني أنها عازمة على الزواج بك.



- أوه.. أهذا ما قاله؟

رنت إليه بطرف عينها يثيرها الفضول:

- أرى مما فعلته قبل قليل أنه محق.

مضت لحظات قبل أن تدرك أنه يضحك ولكن حين مال إليها يرجع خصلة قاتمة مبللة من شعرها عن وجهها، ارتجفت لا إرادياً.

- على غريفت أن يخصص وقتاً أطول للعناية بك.. أعتقد أنه تركك وحدك مجدداً.. هه؟

- إنه يتدرب.

- لكنه لا يتدرب على أن يكون خطيباً جيداً.

- عليه أن يتدرب ليصل إلى مبتغاه.

- آه.. ها..! إنه أحمق، يجب أن يلتصق بك، ليحميك من الأماكن الغريبة... لو كنت لي لما تركتك تسبحين وحدك، بل لرافقتك.

راح إبهامه يمرُّ بنعومة فوق شفتيها وهذا ما عسَّر عليها الكلمات. توردت وجنتاها، وهزت رأسها تحاول إبعاد صورة ذلك الجسد الطويل النحيل المترائي لها في الماء.. أبعدت رأسها جانباً وتمتمت:

- لكنني لست لك.. وإن كنت لأحد فأنا لغريفت.

ركز ڤيرن عينيه على وجهها قبل أن ينحني إليها ضامّاً جسمها إليه، لاثماً وجنتها بشفتيه.

- إذن.. يستحسن أن أعيدك إليه ما دمنا نذكره كلانا.

ولكنه قبل أن يشغل المحرك عانقها بقوة.

* * *

## ٤ ـ غريبة وسط غرباء

بدا لها ما بينها وبين ڤيرن أن شيئاً لن يعود أبداً إلى سابق عهده، فبذلت جهدها لتتجنبه ولم يكن الأمر صعباً لأنه لم يُرَ إلا أثناء وجبات الطعام.. وكانت كلما لاحظت العينين الرماديتين تنظران إليها، تتذكر تهورها عندما سبحت في البركة الصخرية وحدها.

أحست أن غريفت لن يعلم بالأمر إطلاقاً، لا منها ولا من ڤيرن، ولكنها تشك ألا تخبره لولا إذا أُتيحت لها فرصة الإيذاء. ولهذا السبب وجدت إيدن نفسها مشوشة المشاعر عندما عرض عليها غريفت الذهاب إلى الحفلة التي ستضمُّ الجميع وبين الجميع لولا كورد ـ مانيارد.

ـ إنها حفلة حقيقية حبيبتي.. أعلم أنك لا تحبين الحفلات ولكنك ستتمتعين بها لأنها ستكون مختلفة عما حضرته يوماً. إنها ليست حفلة معدة للسوّاح بل تعدها عائلة «كيمورازس» للكامانيا.

ـ حسناً.. قل لي ماذا تعني هذه الكلمة؟

ـ كامانيا تعني أنا وڤيرن وجميع من ولد هنا، أي أهل الجزيرة.

ـ وماذا عن السيدة هوفمان؟

ـ حسناً.. أعتقد أنها من «الكامانيا» بعد ثمانين سنة. أما



أنت فماليهيني وواهيني، وماليهيني تعني وافدة غريبة.

ـ وما معنى «واهيني»؟

ـ امرأة.. أنت امرأتي..

ـ فهمت.. وهل أصبح بعد الزواج «كامانيا» أم أبقى ما قلته لتوّك؟

أحست بتراجعه، وكأن ذكْرها زواجهما وتّره.

ـ أعتقد أنك ستبقين ماليهيني.

ـ حسناً. أعتقد أن هذا إنصاف.. لكن أخبرني المزيد عن الحفلة.. أين ستقام؟

ـ منزل آل «كيمورازس» قرب الشاطىء.

ـ أعتقد أنني لا أعرف أحداً هناك..

ـ أنت تعرفين ڤيرن.. وستكون الفرصة سانحة لرؤية الآنسة «فومانشو».

خفق قلب إيدن بعنف.

ـ أتعني لولا كورد ـ مانيارد؟

ـ ومن سواها؟

لم يكن يعرف شيئاً عن لقائها الدرامي بصديقة ڤيرن، صاحبة الوجه الناعم الشرير المنطبع بعنف في ذهن إيدن.. ارتجفت، فقال غريفت ضاحكاً:

ـ لا تكوني هكذا حبيبتي.. فحتى لولا تراعي أصول اللياقة في حفلة كهذه، لكن لا تنظري إلى ڤيرن، ووفري لها ميداناً خالياً، وعندها تجدينها وديعة كقطة.

ـ سأبتعد عنها لا تقلق. لكن لا أتوق للذهاب.

قال لها:

- انسي أمر لولا.. سأكون معك. وأعدك، إن رأيناها تكمن لك وراء شجرة أن أدافع عنك بحياتي..

- حسناً. ماذا أرتدي لهذه المناسبة؟ ما رأيك بتنورة من الحشائش؟

- فكرة رائعة.. لكن فستاناً جميلاً سيفي بالغرض. إنها حفلة غير رسمية، مع أنني أريد أن تصرعي الجميع حبيبتي.. ارتدي فستاناً مميزاً.

ابتسمت تهزُّ رأسها:

- سأفعل ما بوسعي.

وكان أن ارتدت أجمل فساتينها، فإذا النتيجة أفضل مما توقعت.. كان الفستان بلون الجاد الأخضر، أردافه قصيرة، وياقته منخفضة.

دخلت إلى الصالون تخشى الانتقاد. ولمّا لاحظت العجوز تورّد وجنتيها هزت رأسها دليل الموافقة، ثم حثتها على الجلوس قربها تشجعها بابتسامة، هي مزيج عجيب من الدفء والانزعاج..

قالت العجوز بصراحتها المعهودة:

- تحسنين اختيار الملابس. إن هذا اللون رائع عليك.

ابتسمت إيدن لهذه العجوز الارستقراطية المحببة التي تجلس على مقعد مرتفع الظهر كملكة متوجة.. حين نظرت إيدن إلى ساعتها، لاحظت العجوز هذا فقالت:

- لا تقلقي يا طفلتي.. لن يتركك غريفت منتظرة إلا إذا كان أحمق مما عهدته.

تجاهلت إيدن حدة كلامها وابتسمت:



- لست قلقة سيدة هوفمان.. فغريفت دقيق في مواعيده.

- مستعدة دائماً للدفاع عنه! على ذاك الولد أن يلازمك هذه الليلة لئلا تخطفك منه إحدى العيون الجوّالة.

- أوه.. لن يحدث هذا.. لقد وعدني أن يمسك يدي طوال السهرة.

ضاقت عينا العجوز:

- لماذا أشعر أنك خائفة من شخص ما، ولماذا تريدين من يمسك بيدك؟ ممَّ تودّك يا فتاتي؟

ظلّت مطأطئة الوجه.

- لا شيء سيدتي. لست خائفة، كل ما في الأمر أنني لا أعرف أحداً هنا غير غريفت وڤيرن.

ازدادت عينا العجوز ضيقاً:

- هل أخبرك غريفت أشياء عن لولا؟ آه.. أرى أنه فعل..! حسناً.. لا داعي للخوف منها يا طفلتي.. إلا إذا حاولت التودد إلى ڤيرن. أنت تعرفين ما هي الأوضاع بعدما سمعت أخباراً كثيرة عنها.

كان غريفت قد أشار إلى أن الجدة تعارض زواج ڤيرن بلولا بشدة.

قالت إيدن:

- أعرف أن الآنسة كورد مانيارد تفكر في الزواج به ولكنني لا أظنه يفكر بالطريقة نفسها.

برقت عينا العجوز تحت رموشها ثم قالت:

- أووه.. هكذا إذن.. تظنين أن ڤيرن يتعرض للضغط والفكرة لا تعجبك؟

- لم أقل هذا سيدتي.

- تفكيرك واضح. ما يثير اهتمامي هو مدى تأكدك من تفكير ڤيرن.

- أنا.. أنا.. لا أعرف.

- ألديك أسباب وجيهة للاعتقاد بأن له أفكاراً أخرى؟

- أبداً.. إنه لا ينفي ولا يؤكد شيئاً.

كانت إيدن مشوشة الفكر تعضُّ شفتها بقلق متوردة الوجه، تحسّ بالارتباك من نظرة العجوز الخبيثة التي قالت:

- إذن.. لقد تكلم عن الأمر. تدهشينني يا فتاة.. أتصور أنك وڤيرن مقربان إلى درجة الإفضاء بالأسرار. أعتقد أنك بئر عميقة، وحمراوات الشعر آبار عميقة دائماً.

لم تقل إيدن شيئاً بل تنفست الصعداء بصمت حالما أطلّ غريفت الذي سألته مقطوعة النفس:

- كيف أبدو؟

أمسك بيديها وجذبها إليه.

- طفلتي.. ستصرعين العيون كلها!

انحنى يعانقها غير مبال بالجدة:

- إذا ذهبنا نسبق ڤيرن العجوز..

هزت العجوز رأسها:

- لكنه غادر.. قبل أن تنزل إيدن من غرفتها، أعتقد أنه ذهب لاصطحاب لولا.

قال مقطباً:

- هذا واضح! يستحسن أن ننطلق حالاً وإلا اضطررت إلى الإسراع بالقيادة وهذا ما لن يعجب إيدن. جدتي لا تنتظريني.



حين استوى وراء المقود نظرت إليه مستغربة وسألت:

- هل المكان بعيد؟

- قرب المدينة. عمَّ كنت تتكلمين وجدتي حين وصلت؟

- عن لاشيء. سألتني إن كنت أعرف لولا فذكرت لها ما أخبرتني عنها.

قاد السيارة إلى الشارع العام المزدحم ببراعته المعهودة.. لكن تفكيره كان في مكان آخر، فتساءلت إيدن لماذا يهتم بما تتباحثه مع الجدة.

- لم تسأل عن موعد الزواج؟

حدقت إليه بدهشة:

- لا.. ولكن ليس غريباً أن تسأل. إنها تهتم.. وتبدو مستعدة للقبول بي.

- لقد أحبتك.

- أليس هذا لصالحنا؟

صمت قليلاً ثم ابتسم بثقة:

- بالطبع.. كنت أتوقع معارضتها، وعوضاً عن هذا أدخلتك إلى قلبها، وكأنها هي التي اختارتك بنفسها.

- وهذا ما يريحنا.

انتصبت منازل فخمة، وراء جنات خضراء تضم مختلف أنواع الشجيرات والأشجار التي في «غرين هاوس».

كانت الأنوار المبهرة معلقة فوق الأشجار وكان يتناهى إلى حيث أوقف غريفت السيارة الغناء والعزف.. ابتسم لها غريفت وساعدها على الخروج فردت الابتسامة بدفء مماثل.. إنها الحفلة المحلية الأولى التي تشترك فيها، لذا لن تسمح للولا أو



www.elromancia.com

لأي إنسان آخر بتعكير صفائها.

لم يكن الجلوس إلى الموائد المنخفضة مزعجاً كما توقعت علماً أنها كانت محشورة بين جاريها على كلا الجانبين، غريفت إلى جانب وشاب بولوني وسيم إلى الجانب الآخر، والملاحظ أن هذا الشاب كان يرمقها بنظرات إعجاب، فتذكرت ما قالته السيدة هوفمان عن العيون الجوّالة.

كانت الطريقة التقليدية لتناول اللحم المشوي تتم عبر الأصابع ولكنها سرعان ما اعتادت على هذه الطريقة وإن شعرت بالإحراج قليلاً بسبب التصاق اللحم بأصابعها وفمها.

تجنبت إيدن التفتيش عن ڤيرن، لكن كان من المحتم عليها أن تراه، فقد كان جالساً على المائدة ذاتها إنما على الجانب الآخر، وكان قربه لولا التي بدت رشيقة كقطة في فستانها الأصفر الحريري الذي التصق بشكل مغرٍ بجسمها. أما عينا تلك المرأة فبدتا على أهبة الاستعداد لرؤية أيّة حركة تبدر عن ڤيرن.

فيما كانت إيدن تنتزع قطعة لحم، التقت صدفة عيني ڤيرن، فلاحظت بريقاً ضاحكاً فيهما، دفع الدماء حارة إلى وجنتيها. الطريقة التي حاولت فيها لعق ما علق من مرق اللحم على شفتيها، جعلها تبدو وكأنها تمدُّ لسانها له، فانفجر ضاحكاً وأخذ يهزُّ لها رأسه. في هذه اللحظة رفعت لولا رأسها إليه وقد اشتدت شفتاها وضاقت عيناها السوداوان.. لماذا نظر إليها ڤيرن في هذه اللحظة التي قامت فيها بهذه الحركة الطفولية؟ كانت تحسّ بغضب المرأة الأخرى يتعاظم فمالت إلى غريفت خائفة، فابتسم فوراً لها وسأل:

ـ أنت على ما يرام عزيزتي، أتعرفين؟ لقد وعدوني بالعزف



مع الفرقة فيما بعد.. أعتقد أن هذا سيدفع ڤيرن العجوز إلى التفكير ثانية.

ـ هذا من حسن حظك... هل ستعزف بضع معزوفات؟

ـ إن كنت محظوظاً أعزف ما تبقى من الأمسية.

ـ ولماذا لم تخبرني من قبل؟

ـ خلتك ترفضين المجيء إن عرفت.

ـ هذا محتمل.. حسناً.. سأجد لنفسي شريكاً آخر، ولا أحسبني، كما قالت جدتك أجد صعوبة.

ـ أوه.. إيدن!

ضحكت: «حسناً.. لكن عليك إنهاء طعامك أولاً»

بعد ذهابه للمشاركة في العزف رغب الكثير من المدعوين في رفقتها، ولكنها شعرت بالغربة بين هذه الوجوه الباسمة، فقررت السعي إلى مكان أهدأ وأبرد في الحديقة.. لتخلو إلى نفسها قليلاً. سارت في ممر متعرج بين شجيرات منخفضة حتى تلاشت أنغام الموسيقى.

كان في نهاية الممر المتفرع إلى ممر آخر صفٌّ من الأشجار الاستوائية الواقفة كأشباح رمادية تحت ضوء القمر والرافعة أوراقها السرخسية نحو السماء المظلمة.

عوضاً عن سلوك الدرب الآخر تابعت المسير إلى ما وراء أشجار السرخس، وهناك وجدت الشجيرات أكثف والدرب مقطوع، فامتنعت عن إكمال المسير لئلا يتمزق ثوبها في الطريق الوعر.

ولكنها وجدت نوعاً من السكينة غريباً، ولم تستدر مبتعدة عنها إلا على مضض. فجأة حبست أنفاسها فقد سمعت صوتاً

بين الشجيرات، وكأنما أشخاص آخرون يشقون طريقهم. وبما أنها اعتقدت أن أحدهم تبعها خافت وارتعبت ووقفت تجول بعينيها فيما حولها بحثاً عمن يكون.

- إيدن.. هل أخفتك؟

حين برز ڤيرن من لا مكان، أغمضت عينيها بمزيج من الراحة والاضطراب.. ففي المرة الأخيرة التي رأته فيها كانت لولا ملتصقة به، وهي الآن لا تصدق أنها بعيدة عنه.

- لم أتوقع رؤية أحد.

أزعجتها هشاشة صوتها وعدم ثباته، ولكن عندما تقدم إليها قفز قلبها مجدداً وتزايد توترها خشية أن تلحق به لولا.

- غريفت أحمق! أعتقد أنه يحاول إثبات شيء ما بعزفه مع الفرقة الموسيقية، ولكن أن يتركك وحيدة فعمل غبي خالٍ من الأدب.

- لكنني لا أمانع!

- لا تتفوهي بكلمات سخيفة إيدن.. أنت تمانعين بكل تأكيد.

كان ذلك الصوت العميق المؤثر بمثابة يد تداعبها فارتجفت. ولأنها بحاجة إلى ما يلهيها، وبعد تفكيرها عن ڤيرن، مدت يدها تقطف زهرة من شجرة كانت قربها، ثم قربتها إلى خدها لحظات فعبقت في أنفها رائحة رائعة، ولكنها لم تخفف من ضربات قلبها الصاخبة.

- لم يستطع رفض فرصة العزف علناً مع فرقة محترفة.. لا تلمه ڤيرن!

اقترب أكثر منها.



- إنما ألومه على تركك وحيدة.

كانت تمسك بالزهرة بشدة فانكسر غصنها ووقعت الزهرة أرضاً أمام قدميها، وسرعان ما انحنى ڤيرن ليلتقطها ثم بعد ذلك أبقاها برهة في يده وذلك قبل أن يضعها في شعرها خلف أذنها اليسرى. ابتسم محدقاً إلى أعماق عينيها:

- إنها تليق بك.

لكنه لم يسحب يده، بل تركها خفيفة على عنقها وهذا ما ضاعف خفقات قلبها.

- قال غريفت إن وضع الزهرة خلف الأذن اليسرى يعني أنني مخطوبة.

تقوّس حاجباه بسرعة:

- من المؤسف أنه لا يتذكر ذلك!

- لها عطر جميل..

- وأنت فتاة جميلة.

مرّر أصابعه بخفة على عنقها فارتجفت، ثم غضّت طرفها لئلا ترى عينيه، أو ترى تلك النظرة العميقة المشبوبة بالرغبة، النظرة التي تحرق مشاعرها، وتثير فيها استجابة لم تستطع فعل شيء حيالها. أردف بصوته العميق المثير لأحاسيسها المجنونة:

- كيف لا يكون غبياً من يتركك ليعزف مع فرقة موسيقية؟ ألم يدرك ما تشعرين به وأنت منبوذة؟ ألهذا تختبئين هنا إيدن؟ شاهدتك آتية في هذا الاتجاه...

- ولحقت بي!

رفع خصلة شعر نحاسية بين أصابعه:

- لحقت بك لأنني أعرف ما تشعرين به.

نظرت إليه بعينين نجلاوين قاتمتين تحت ضوء القمر، ثم قالت هامسة:

- ما ألطفك!.. لكنك.. لم تكن وحيداً.

التوى فمه سخرية وقال بهدوء:

- لقد علقت لولا بحديث مع مضيفنا، ثم إنني غير مرتبط إيدن.. لا تفكري بهذا إطلاقاً!

- أنا لا أفكر!

وقف ساكناً وأصابعه لا تزال في شعرها تعبث به. بعد ذلك أرجع رأسها إلى الوراء ثم جذبها بنعومة إليه، فأحست بنظرته تحرقها وشعرت برأسها يرتفع إليه باستسلام. عانقها تقريباً بالقوة والعنف السابقين فتحركت رغباتها استجابة يرافقها استسلام لم تعهد مثله قط.. تلاشى ما حولها ولم تعد تشعر إلا بما هي فيه، وإلا بمشاعرها التي أطلقت لها العنان. وطوقت عنقه تنشد مزيداً من العناق.

- ڤيرن...

كان قد مضى بضع دقائق لم تستطع فيها أن تتكلم، ولم تتعرف إلى صوتها المضطرب:

- إيدن.. بالله عليك. تخلي عنه قبل أن يؤذيك!

أذهلتها كلماته هذه لأنها توقعت بعد هذا العناق كلمات تدليل أو أي كلمة أخرى عدا أمر قاسٍ يتعلق بأخيه.. ابتلعت ريقها بصعوبة، ثم ابتعدت عنه هامسة:

- أخطأت حين سمحت لما جرى بيننا قبل قليل، إنما هذا لا يعني أنني لا...

- إن كنت ستقولين إنك تحبين غريفت فامتنعي!



مدَّ يده ثانية ليلامس خدها، وعلى الرغم من استيائها لقسوته تجاه غريفت، فقد أثارتها اللمسة مجدداً.

- ما زلت صغيرة على الحب من أجل الحب.. اعترفي بهذا إيدن.. لماذا لا تعترفين؟

- لن أعترف.. لأن هذا غير صحيح! أعترف فقط أنني أخطأت عندما تصرفت على هذا النحو منذ قليل، ولكن ذلك لن يؤثر في ما أشعر به نحو غريفت.

ما زال في عينيه توق ما أشعرها بالذعر...

- بم تشعرين نحوه بالتحديد إيدن؟

أدركت في لحظة ذعر، أنها لا تعرف بالضبط ما شعورها، لكنها قالت بإصرار:

- سأتزوجه.. أنا خطيبته ولهذا قدمت إليكم!

- وهو إضافة إلى وسامته صيد ثمين.

كان ردها سريعاً وغريزياً، فقد تعاملت معه يدها التي وقعت على نعومة وجهه الأسمر بغضب وحقد كبيرين. وسرعان ما استولت عليها مشاعر مخيفة، فارتدّت على عقبيها تركض لا تلوي على شيء إلى المنزل، لم تكن في الواقع تعرف أين تتجه، ولكن صوت ڤيرن لحق بها.

- إيدن!

لم تتوقف ولم تبطىء الخطى حتى وصلت إلى صف أشجار السرخس، عندها فقط، ولإحساسها بضعف ساقيها خففت من سرعتها.. أصبحت الأصوات أقرب إليها الآن، ووقع الموسيقى ذكّرها بأن غريفت لن يستقبلها بذراع مطمئنة..

وجدت نفسها أمام المنزل حيث تقف السيارات بهدوء..



www.elromancia.com

وحيث تتلاعب نافورة ماء بسكون فوق حجارة البركة.. حتى هنا كانت الأشجار والشجيرات الشائكة تنمو بالطريقة ذاتها. كان النور يتدفق من المنزل لكنه ظلَّ محافظاً على هدوئه وعزلته وهذا ما تحتاج إليه.

ولأن الهدوء كان شديداً، التفتت بسرعة ما إن سمعت وقع أقدام ظنتها للوهلة الأولى لڤيرن، ولكنها عندما شاهدت لولا كورد ـ مانيارد ترنّحت بعض الشيء.

لم يكسُ الوجه الجميل أي تعبير فاستولى الذعر على إيدن ما إن التقت عيناها العينين السوداوين، وشاهدت فيهما بريق انتصار. بدت في الفستان الحريري الأصفر الذي التقط نور القمر وكأنها آلهة شرقية..

تحركت لولا نحوها بخفة قطة، وابتسامة شاحبة على فمها:

ـ أعتقد أنك أنت إيدن كاريستر.

ـ أعرف أنك السيدة كورد ـ مانيارد.

ـ طبعاً تعرفين. لا بد أن غريفت روى لك أخباراً كثيرة عني ويستحسن أن تصدقيه آنسة كاريستر! ماذا قال، عدا كوني قادرة على العناية بنفسي؟

ـ لم يقل سوى أنك صديقة ڤيرن.

اتسعت ابتسامتها:

ـ صديقة؟ بل أكثر من صديقة آنسة كاريستر.. ولهذا لا يعجبني دورانك حوله.

مع أنها غير معتادة على الجبن، فكرت في الهرب بسرعة بحثاً عن غريفت.. لكنها تذكرت أن غريفت وجدته كانا واثقين أن لولا لن تظهر مخالبها علناً في مناسبة كهذه. مررت لسانها



على شفتيها الجافتين وهزت رأسها:

ـ أنا لا أدور حول ڤيرن سيدة كورد مانيارد لأنني خطيبة غريفت.

ـ هذا ما سمعته! لكنني أراهن أن غريفت لا يعرف أنك تتسللين لتسبحي مقدمة عرضاً مثيراً أمام ڤيرن.

ـ لم أكن أعرف أنه على مقربة مني!

ـ وأراهن على هذا أيضاً!

ـ هذه هي الحقيقة! أتظنين أنني كنت أسبح بثيابي الداخلية لو عرفت أن هناك من يراني؟ خاصة ڤيرن؟

كررت كلماتها بنعومة:

ـ خاصة ڤيرن.. إذن أنت تعتبرينه شخصاً خاصاً؟

ـ أنا عنيت فقط..

ـ أفهم ما عنيته آنسة كاريستر.. حسناً.. أنت تحبين الماء.. فتمتعي به.

لم تكد الكلمات تنطبع في رأسها حتى ضربت يد نحيلة كتفها وأرسلتها إلى الوراء إلى الماء البارد.. صرخت غريزياً حين وقعت على ظهرها في الماء الضحل وتخبطت بعض لحظات قبل أن تدرك أن لا خطر يحدق بها. ثم تمسكت بحافة البركة تبكي يائسة فلم تلاحظ عودة لولا إلى الحفلة.. في هذه اللحظات كرهت ڤيرن بمقدار ما تكره صديقته.

* * *

## ٥ ـ المهم أني أراك

وجدت إيدن صعوبة كبرى في تفسير ما حدث دون الدخول في تفاصيل سقطتها في البركة.. لكنها أصرّت أنها «وقعت».. ولم يبدِ أحد شكه في هذا سوى غريفت الذي أصرَّ أن يعرف وذلك بعدما بدلت ملابسها الرطبة بأخرى.

ـ أنا لا أفهم.. كيف وقعت؟ البركة اللعينة كبيرة جداً بحيث لا يمكن أن تخطئيها.

ـ حسناً.. لقد وقعت. لو كنت معي تراقصني، لما رحت أتجول وحيدة كعانس متزمتة.

ـ أوه.. يا لطفلتي المسكينة! لا تغضبي مني.. أنت تعرفين أنني مجنون بحبك.

ـ لماذا إذن لا تقضي معي وقتاً أطول؟ لا أفهم كيف تدعوني إلى حفلة لا أعرف فيها أحد، ثم تتركني وحدي لتتمتع بعزفك.

ـ آه.. حبيبتي! اعذريني.

ضمّها إليه لحظات، وما أرعبها أنها وجدت نفسها تقارن عناقه العفوي، بعناق ڤيرن المتملك، لكن هذه المقارنة خطيرة، لذا سارعت إلى نفض الفكرة بعيداً.

قال غريفت: «ما رأيك لو نتناول الليلة العشاء في المدينة تكفيراً عن تركي إيّاك؟»



ـ يبدو هذا جيداً شرط ألا تتركني آكل وحدي لتنضم إلى الفرقة الموسيقية.

ـ آه.. حبيبتي!

هزت رأسها:

ـ آسفة غريفت. إلى أين ستصحبني؟

ـ فلأختر المكان بنفسي. ما رأيك؟ أعتقد أنني أستحق أن تشدي أذني بسبب إهمالي لك، حتى ڤيرن لاحظ هذا.

ـ وهل قال لك شيئاً؟ لا أتصور لماذا يهتم ڤيرن بمشاعري!

ـ لا تخدعي نفسك.. إنه يعرف أن ما تشعرين به يؤثر فيّ.

ـ إنه يعرف أنني لا أحاول التأثير فيك. هذا ما قلته له منذ البداية.. فما تفعله هو شأنك الخاص.

ـ ربما.. لكنه يرى أنني أسعى إلى جلب المتاعب لك بما أفعله، أي بتركك وحيدة أثناء التمارين. يقول إنني لو انضممت إلى الشركة لما بقيت وحدك وقتاً طويلاً.

ـ ولكن لن يكون هناك فرق إن غيّرت رأيك، فأنا ألاحظ أن ڤيرن يغيب معظم النهار، وهذا يعني أنك ستغيب الوقت ذاته.

ـ هذه نقطة جيدة.. أتظنين أن الشيطان العجوز يلعب لعبة «فرّق تسدْ»؟ ربما أراد أن يوهمني أن ضجرك سيدفعك إلى الرحيل، وبذلك أعدل عن رأيي فأنضمّ إلى الشركة. وقد تكون خطوته التالية أن يوهمك بأنك مهملة وبأن الرحيل خير لك.

ربما يكون غريفت على حق، أو اقترب من الحقيقة، ولعلَّ تحذيره لها من غريفت وما قد يجلبه من أذى هدفه دفعها إلى الرحيل.

ـ أنا دهشة أنه يعرف أن تهديدك إنما يجعلك أكثر عناداً. لن

تستسلم بسهولة، حتى ولو عدت إلى بلادي، أليس كذلك غريفت؟

شدّ ذراعيه حولها، ثم ضحك ودفن وجهه في شعرها:

- أوه.. لن تتركيني حبيبتي أليس كذلك؟

- ليس دون سبب قوي.

- وعدتِ أن تمكثي عندنا حتى الخريف، ولن تهربي مني قبل هذا.

- قلت لن أرحل إلا إذا كان هناك سبب قوي بل قوي جداً. أتعلم أحب أن أُعلِم الجدة بموعد الزفاف فهي لا تنفكّ تسألني عنه غريفت.. والمخزي أنني أشعر بالسخف كلما قلت لها لا أعرف.

- لا أفهم سبباً لشعورك هذا.

هزت رأسها، فتصرفاته عند ذكر الزواج تزعجها، والأنكى أنه حتى الآن لم يشترِ لها خاتم الخطوبة، وقد تساءلت دوماً عما إذا كانت مخطئة في الموافقة على المجيء معه. قالت بهدوء:

- هذا ما يربكني كثيراً.

عبس فجأة، واشتدت ذراعاه حولها إلى درجة القسوة.

- ولمَ العجلة؟

- قلت لجدتك إننا على غير عجلة من أمرنا. ولكن من الطبيعي أن تقلق، وأظنها نافذة الصبر.

- دعكِ منها! هذا شأننا لا شأنها!

ضمّها إليه بشدة، وأراح ذقنه على رأسها، لكن إيدن كانت مستعدة لتتخلى عن أي شيء مقابل رؤية تعابير وجهه وعينيه. لقد قالت للجدة إنهما على غير عجلة من أمرهما، إنما هذا



ينطبق أكثر فأكثر على غريفت لا عليها.

- لولا تزمتك يا حبيبتي لما احتجنا إلى أجراس العرس. لماذا لا نعيش معاً دون...

قاطعته بصوت ثابت حازم:

- لقد ناقشنا هذا الموضوع مئات المرات.. والرد ما زال «لا».

- أعلم أنك تقولين دائماً لا.. لكن...

- لكن لا شيء.. قد يبدو لك تصرفي تزمتاً ورجعية، إنما هذا هو الأمر.. أرجوك.. لا تسألني ثانية.

- حسناً.. فليكن ما تريدين. إنما اعلمي أنني لن أستسلم.

- عليك أن تستسلم.

قبّل أنفها:

- معك حق بشأن أجراس العرس.. إنما فلنمرح قليلاً قبل ذلك. ما رأيك لو نخرج للعشاء والرقص حبيبتي؟

- ولِمَ لا؟

خرجا إلى مطعم في وسط المدينة قضيا فيه وقتاً ممتعاً.

عندما غادرا المطعم وقف قرب سيارته والمفتاح في يده، وذراعه على كتفيها، ولكن ما صدمها أنها لاحظت شبهه الغريب بثيرن في العتمة.. قال لها متحدياً:

- هل أنت خائفة من مشاطرتي ركوب السيارة؟

وضحك وكأنما الفكرة سخيفة. لكن إيدن فكرت فيها بجدية، وهزت رأسها.. ففي تفكيرها ما حذّرها من مغبة ما قد يفعله غريفت أثناء طريق العودة إلى المنزل، لكن نظرته الحالمة جعلت قلبها يتراجع عن ذكر ما تفكر فيه له.. قالت محذرة:

- كن حذراً فقط، غريفت، أرجوك.

- ألست حذراً دائماً؟

شدّها إليه فجأة بقوة كادت تزهق أنفاسها. لم يكن في عناقه حب أو لطف، لذا تحركت في داخلها ردات فعل غير مفهومة.

- آه.. حبيبتي.. ليتك تسمحين لي...

- لا..!

- حسناً.. حسناً... أيتها المتزمتة البتول!

لماذا يذكرها عناقه بما هو أكثر إثارة؟ لم تكن قادرة على إبعاد ڤيرن عن تفكيرها.. وكأنما التفكير فيه، استدعاه ليتجسد أمامها، فقد رأته بطرف عينيها يدخل إلى موقف السيارات.. وهذا يعني أن لولا برفقته تتعلق به. حرّرت نفسها من بين ذراعي غريفت حين شاهدتهما.

- ما الأمر؟

ثم شاهد هو أيضاً أخاه، فأكمل:

- حسناً.. ما رأيك؟ أخي الأكبر والسيدة فومانشو معنا في المدينة! لماذا بحق الله لم أتعرف إلى سيارته حين وصلنا؟

- ربما وصلا بعدنا غريفت فلنذهب.

- وأتركه يعتقد أنني أهرب منه؟ فلنبقَ لنعرف رأي ڤيرن العجوز بنا... قد يكون الأمر مسلياً.

لو كان بإمكانها لدخلت إلى السيارة تجنباً للمواجهة التي يفكر فيها غريفت. لكن ذراعه كانت شديدة حول قدّها.

في البداية، هزّ ڤيرن رأسه تحية لهما، فبدا على غريفت خيبة الأمل. لكن، ما إن وضع لولا في السيارة بأمان، حتى عاد إليهما، وكأنه يود ألا تشاركه لولا في ما يجري.



نظر إلى إيدن بحدة.. وكأنه يتهمها، فغضّت طرفها أمام توبيخه الصامت، ومضت لحظات قبل أن يلتفت إلى غريفت:

- أتفكر في قيادة السيارة بسرعتك المعهودة غريفت؟

- طبعاً.. ولمَ لا؟

- رداً على سؤالك أقول إنك بذلك ترتكب خطأ.

- وهل أنت أكثر مني رصانة في القيادة؟

كان يبدو متضرج الوجه غضباً، فردَّ عليه ڤيرن:

- طبعاً.. إن كنت لا تهتم بنفسك ففكر على الأقل بإيدن.

انتفضت حين رأته يستغلّها ليدعم حجته، وكان عليها أن تعترف بأنها موافقة على وجهة نظره، لكن تأثيره الحتمي في أحاسيسها، أثار فيها استياء غير متوقع، فكان أن هبّت للدفاع عن غريفت.

- سأكون آمنة معه ڤيرن..

قاطعها غريفت:

- اعتنِ بفتاتك واترك لي فتاتي.

ضحك ومال ساخراً إلى الأمام نحو لولا، مما جعله يصدم رأسه بسقف سيارة مجاورة فصاح به ڤيرن:

- بالله عليك غريفت استقل تاكسياً عد به إلى البيت أو دعني أقلّكما. أنت متهور الليلة، والقيادة ستكون خطرة.

- هذا ما تقوله أنت.: أراهنك بخمس دولارات أنني قادر على الوصول قبلك وذلك دون أن أرتكب هفوة.

والتفت إلى إيدن:

- هل تثقين بي حبيبتي؟

فتحت فمها لترد، ولكنه أكمل بسرعة:

- إيدن لا تخاف.. وهي تعرف مقدرتي في القيادة!

- بالله عليك. قومي بما يردعه إيدن.

- لن أستطيع ولو حاولت.. ستكون على ما يرام فليس منا من هو طائش بالقدر الذي تظنه.

لاحظت أنه يهز رأسه باتجاهها:

- أيتها الحمقاء الصغيرة..

ودون كلمة أخرى قفل راجعاً إلى سيارته. كانت ابتسامة لولا الشاحبة أكثر مما تتحمله إيدن، فأدارت ظهرها بسرعة.. أما غريفت فصاح به باندفاع جريء مفاجيء.

- لا تلحقني لتراقبني. سنسلك الطريق الداخلية الطويلة، وهذا يعني أنك ستكون في الفراش قبل وصولنا.

لم يقل ڤيرن شيئاً ولكن كان على وجهه نظرة سوداء واعدة بعثت رعدة إلى ظهر إيدن.. ليلة أمس صفعته بقوة، والليلة أجبره غريفت على الرضوخ وما ڤيرن هوفمان برجل يقبل معاملة كهذه. نقل بصره إليها لحظة قصيرة برقت في غضونها عيناه، ثم انطلق وغريفت يلوّح له ساخراً.

كانت ليلة جميلة، والقيادة في الطريق الداخلية الضيقة إلى (غرين هاوس) مريحة. راحت إيدن تتمتع بهدوء الريف الساكن الذي يضيئه ضوء القمر. لكن هذا لم يبعث إليها كل الاطمئنان خاصة عندما كانت ترتقي السيارة مرتفعاً حاداً أو عندما تصبح المنعطفات أخطر، والأرض أكثر انخفاضاً من جانب واحد. غير أن ميزة السير على تلك الطريق أنها تخلو من السيارات، لكنها غير مضاءة، وهذا ما جعلها في أكثر من مرة تمسك بالباب خوفاً.



كان لا يزال مبتهجاً بنصره، وكان يلتفت إليها دائماً مبتسماً، ثم يلفّ ذراعه حولها.. القمر بدر ساحر، يرسل أشعته الفضية على كل شيء، فتصبح الأراضي الجبلية أنعم منظراً وأشدّ جمالاً.

قالت إيدن هامسة:

- إنه مكان جميل..

- وأنت كذلك.. لكنك تبدين كئيبة حبيبتي.. هل أنت نادمة على مرافقتي؟

رنت إليه بطرف عينها، وقالت:

- لم أندم بعد.

- أوه.. هيا الآن.. إن أصبحت شريرة أرمكِ فوق ذلك المنحدر!

- هذا ما ستفعله إن لم تبقِ عينيك على الطريق.. ليتك تتوقف عن إدارة رأسك غريفت.

أظهرت ابتسامة عريضة أسنانه الرائعة:

- لا أستطيع.. أنت أشبه بحلم تحت نور القمر.

- دعك من الإطراء وركز بصرك على القيادة وخفف من السرعة بالله عليك.

ابتسم ساخراً:

- جبانة!

تمسكت مجدداً عندما انعطف:

- أرجوك غريفت، أمامنا سيارة أخرى لن نستطيع تجاوزها على هذا الطريق!

- آه.. دعي أمرها لي. من تراه يسلك هذه الطريق الصغيرة

المغبرة في مثل هذا الوقت من الليل؟

فجأة صاح صيحة انتصار مجنونة جعلتها تشهق:

ـ إنه ڤيرن!

كانت المسافة بين السيارتين تتضاءل تدريجياً فعرفت إيدن أن سائق السيارة هو ڤيرن.. قال غريفت:

ـ لقد أوصل لولا ثم لحق بنا ليتجسس علينا. حسناً! إذا كان هذا ما يريده فلنعطه ما يسليه!

ـ لا يا غريفت! لا تفعل!

لكنه لم يكن في مزاج يميل للإحباط أو لعدم تسجيل نصر على ڤيرن، لذا ضغط على دواسة الوقود بقوة، وصاح:

ـ هيا تحرك، يا أخي الأكبر.. ها نحن قادمان!

اقتربت السيارة الأمامية منهما بسرعة مذهلة، حتى كادت السيارتان تتلامسان، فرفعت إيدن يدها إلى فمها:

ـ لا.. لا.. يا غريفت!

ثمة ما حذّر ڤيرن، فأدار رأسه بسرعة، ثم أشار إليهما بإلحاح أن يخففا سرعتهما، فصاح غريفت:

ـ لا.. ولو كلفني هذا حياتك!

وصاح صيحة حرب هندية جمّدت الدم في عروق إيدن، وتجاوز سيارة أخيه حتى كادت سيارته تلامس الأخرى.

ـ جيرانمو...!

اقتربا من منعطف جديد، وسرعان ما دوّى صوت المكابح تحاول تثبيت السيارة على الطريق، ولكن لا جدوى. كانت يدا غريفت تقبضان على المقود وكأنه يجد صعوبة في السيطرة عليه. كان ما حدث بالنسبة لإيدن غابة من الأصوات سمعتها تنطلق



دفعة واحدة، ثم أحست بجسدها ينتزع من مكانه ليطير في الهواء وأحست بصوتها حاداً يثقب أذنيها، وكأنه صادر عن شخص آخر... بعد ذلك شعرت بهواء بارد وريح عاصفة قاصطدام... تبعه غياب تامّ عن الوعي.

مضت ساعة قبل أن تسترد وعيها ولمّا أفاقت لاحظت ثوباً أبيض ووجهاً مبتسماً، يشجعها على فتح عينيها.. قال صاحب الثوب الأبيض برضى ظاهر:

ـ يا إلهي..! لقد عدتِ إلينا ثانية.

حاولت جهدها التجاوب مع الابتسامة التي تطلقها ذات الرداء الأبيض:

ـ أنت الآنسة كاريستر، صحيح؟

هزت إيدن رأسها ببطء.. وقالت هامسة:

ـ إيدن كاريستر.

ـ اسم ظريف.. وجميل كذلك. ظننت أهل الشرق وحدهم يستخدمون أسماء كهذه.

بذلت إيدن جهدها لتستجيب، لكنها أحست بشيء بارد في معدتها راح يزداد حساسية..

ـ حسناً.. هل تشعرين أنك أفضل حالاً لنستطيع رؤية ما نقدر على القيام به؟

لم تكد تسمع ما تقول المرأة لأنها كانت تبذل جهداً لتتذكر ما حدث.

ـ ڤيرن.. يجب أن أعرف...

ـ لا تقلقي بشأن أيٍّ كان الآن وركزي اهتمامك على مشاكلك فقط.

ـ لكنني قلقة.

حاولت الجلوس، إلا أنها ما إن رفعت رأسها حتى دارت بها الدنيا، وكأنما آلاف المطارق الصغيرة تضربها. فأعادتها المرأة برفق إلى الوسائد:

ـ هوني عليك.. لن تساعدي أحداً إن حاولت الوقوف فوقعت على وجهك.. هل ڤيرن هو الرجل الذي حملك إلى هنا؟

ـ ڤيرن؟

حدقت إلى سائلتها لحظة وهي تفكر أنه كان عليها أن تركز اهتمامها الأول على غريفت، لكنها حتى الآن لم تسأل عنه، بل كان تفكيرها كله منصباً على ڤيرن الذي كان قريباً من الهوة حين تخطياه.. أصبح الثقل البارد في معدتها أكثر برودة، وتدفقت الدموع من عينيها دون إرادة منها. فقالت لها ذات الرداء الأبيض:

ـ هاي.. هوني عليك. إن كنت قلقة جداً عليه، فسأرى ما أستطيع أن أجد.. هل ڤيرن هو صديقك؟

ـ أجل... لا!

رفعت يدها إلى رأسها المتألم فإذا به مضمد:

ـ ماذا... لماذا.. أنا مضمدة هكذا؟

ـ لقد صدمت رأسك.. ولكن لا بأس عليك ستكونين بخير قريباً. إنما علينا أولاً تصويرك بالأشعة وهو إجراء روتيني بحت.

ـ لكن... كم شخصاً غيري أدخل إلى المستشفى معي؟

ـ مصاب آخر إصابته طفيفة.

ـ كان هناك سيارتان...



ـ ثلاثة كما عرفنا ولكن من فيها خرج سالماً، وأظنّ هذا يشمل صديقك ڤيرن. هه؟.. اسمعي، ثمة شاب طويل جميل لا ينفكّ عن السؤال عنك، ما رأيك لو أستدعيه ليمسك يدك.

إنه غريفت دون شك بقي في المستشفى بدافع الضمير، ولم تدهش حينما وجدت نفسها لا ترغب في رؤيته.. لكن الإيماءة اللطيفة من جانب الطبيبة كانت لا تقاوم.. فهمست:

ـ أجل.. أرجوك.

ـ حسناً.. استلقي هادئة ريثما أدعوه.

أغمضت عينيها بشكل آلي حين خرجت الطبيبة، لكنها فتحتهما مجدداً ما إن سمعت صرير الباب لتحدق إلى رجل وقف داخل الغرفة.

ـ أُذِن لي أن أراك لثوان معدودة.

جعلها صوت ڤيرن المخملي العميق تبلع ريقها بصعوبة، فيما راحت دموعها تترقرق من جديد.

ـ ڤيرن! أوه.. ڤيرن.. لقد اعتقدت...

وخنقتها العبرة مجدداً فلا خدش ظاهر وهي قد تصورته مرتمياً محطماً مثخناً بالجراح في قعر ذلك الوادي الفظيع.

أمسك يدها بأصابعه القوية، سعياً إلى مؤاساتها. كانت تبكي إنما بفرح، ولم يكن يعرف هذا..

ـ هس.. هذا يكفي.. لم يتأذَّ أحد سواك. أيتها الطفلة المسكينة.. لقد كانت إصابتك أسوأ إصابة، لكنك أفضل مما تصورت فلا تنتحبي رجاء. أنت بخير.. أعدك.. أرجوك إيدن.. لا تبكي!

كان لأصابعه الدافئة المهدئة تأثير منوّم بطيء جعلها تتوق



www.elromancia.com

إلى ذراعيه. إنها بحاجة إلى التعلق به وضمّه، ولأنها محرومة من هذه الراحة، أدارت وجهها إلى الوسائد وبكت ببؤس.

ـ أرجوك لا تبكي.. وإلا ازداد ألم رأسك المسكين. هس.. حبيبتي.. هس!

ـ ظننتك وقعت من فوق المنحدر.. ظننتك أصبت بأذى.. أو...

حشرجت صوتها الدموع فتقطعت كلماتها. وجدت راحتها باللجوء إلى ذراعيه. وضعت يدها على صدره، ولمّا شعرت بضربات قلبه الثابتة القوية، أغمضت عينيها.. أبعدها ببطء عنه، ولأول مرة لاحظت النظرة السوداء العميقة في عينيه على الرغم من ابتسامته. قال مداعباً:

ـ آسف لأنني خيبت أملك.. هل أنت منزعجة لأنني لم أنتهِ إلى عقر الوادي؟

ـ أووه ڤيرن!

ـ أووه.. إيدن!

ظهر الضحك في عينيه.. لكن عينيها وبختاه.. وتمنت لو تعرف لماذا أجهشت بشلال البكاء ماإن دخل إلى الغرفة. مرّر يده على وجهها المتضرّر مبتسماً:

ـ كنت أمازحك.. حان الوقت لتستريحي حبيبتي.. سأنصرف قبل أن تأمرني الطبيبة بالخروج... هه؟

فضلت لو بقيت حيث هي، تعانقه. ولكنه بدأ يتصرف بحرية في مداعبتها، وهذا حق غريفت وحده. أنزلها ڤيرن بحذر إلى السرير، فرفعت نظرها إليه تسأله:

ـ كان يجب أن أسألك.. كيف.. كيف حال غريفت؟



سرعان ما انعقد حاجباه، واشتدَّ ضغط فمه:

ـ لقد خرج من الحادثة بأفضل حال. كان يجب أن يكسر عنقه اللعين أثناء قيامه بتلك الحماقة!

ـ أوه.. لا يا ڤيرن!

نظر إليها وعيناه تومضان:

ـ تريننى أعامله بقسوة؟

ـ لم أقل هذا..!

ـ حسناً.. إنه يقضي أوقاتاً صعبة حالياً في قسم الشرطة.

ـ الشرطة؟ اعتقلته الشرطة؟

ـ إنه موقوف، فحادثة كهذه لا يُتغاضى عنها، ولم أستطع حتى أنا إنكار مسؤولية من كانت.

ـ أعتقد أنك لن تستطيع.

ولا هي تستطيع إنكار مسؤولية غريفت. خاصة وهي ما تزال تذكر الرعب الفظيع الذي استولى عليها قبل الاصطدام مباشرة، كما لا تستطيع نسيان صورة رأس ڤيرن في الظلمة، أو صيحة غريفت المنتصرة وهو يحاول تجاوزه.. وارتجفت..

ـ لماذا لم يبطىء حين أشرت له؟ حاولت أن أقول له إن هناك سيارة قادمة هي بعيدة عن ناظريه، لكنه كان مصمماً على تسجيل انتصار عليّ فلم يفكر بطريقة سوية. لا أدري كيف نجونا جميعاً! كادت الحادثة تؤدي إلى مجزرة.

ـ وهل أنا الوحيدة المصابة؟

ـ أصيب غريفت ببضع كدمات وبجرح طفيف فوق عينه.. أما أنت فكان لك النصيب الأوفر.. لكن يعتقد أن لا خطورة عليك. ستبقين هنا ليلة واحدة تخرجين بعدها.



www.elromancia.com

ـ فيرن.. لا أريد البقاء. إن أثبتت صور الأشعة أنني على ما يرام أرفض البقاء هنا.

لاحظ موجة ذعر تجتاح كلامها، فضغط على يديها مطمئناً:

ـ هاي.. مهلك لحظة! إنها ليلة واحدة فقط.. فكوني عاقلة وافعلي ما يقوله الطبيب..؟

كان قلبها يخفق بقوة وسرعة. ثم لاحظت الدموع مجدداً في عينيها.

ـ وأنت ستكون إلى جانب الأطباء.

ابتسم:

ـ طبعاً.. عديني أن تبقي حتى يتأكدوا من أنك بخير.!

رأت أن لا خيار آخر أمامها، فهزت رأسها موافقة:

ـ فتاة طيبة!

لم تكن واثقة أن معاملتها بهذه الطريقة الطفولية يروق لها.. لكن، لم يكن هناك شيء طفولي عندما لثم ڤيرن جبهتها أو عندما ضمّها... حين ابتعد، ونظرت إليه مجدداً، شاهدت نظرة الرغبة المقلقة التي تبعث القلق إليها، وربما هذا ما دفعها إلى القول:

ـ ڤيرن.. أنا آسفة لأنني صفعتك.

كان صوتها أجشّ، فنظر إليها ڤيرن بثبات وقال بهدوء:

ـ وأنا آسف لأنني دفعتك إليه.

انحنى ثانية يعانقها ثم همس:

ـ تصبحين على خير حبيبتي!

وأغمضت عينيها مرة أخرى.

* * *



## ٦ ـ مشاعر مجنونة

قال غريفت:

ـ لا أصدق أنني نجوت.

ردت إيدن ويدها على رأسها المتألم:

ـ وأنا لا أفهم كيف نجوت أو كيف نجونا جميعاً بمن فينا سائق السيارة الأخرى.

ـ هل أعطاك ڤيرن التفاصيل كاملة ليلة أمس؟

ـ قال لي إن ما من أحد أصيب إصابة خطرة.. وقد حمدت الله.. لأنك وڤيرن بخير.

ـ ڤيرن؟ ولماذا لا يكون بخير؟ لم يصطدم بنا.

ـ ولا يعود الفضل إليك. كدت تقتلنا جميعاً. وها أنا عالقة هنا في المستشفى دون أن أخرج اليوم، كما كنت آمل، فقد قالت الطبيبة إن عليّ البقاء بضعة أيام.

ـ حسناً.. قولي ما تريدين مع إنني أعرف ما ستقولين.

مدت يدها بنعومة إليه:

ـ أنا آسفة.. لا أستطيع أن أقول إنك غير مخطىء. وما كنت لأتذمر في وجهك لولا ألمي الذي لا ينفكّ يضايقني رغم المسكنات. لماذا لا تخبرني بما حدث بالضبط أمس وأثناء حديثك أحاول أن أغفو؟

أدرك فوراً أنه كسب عطفها، فنظر إليها مبتسماً.

ـ هل أخبرك ڤيرن عن السيارة التي كانت قادمة من جهة المنحنى؟ يقول إنه لهذا السبب أشار إليَّ أن أبطىء، إنما كيف كان لي أن أعرف؟

ـ إنه سوء حظ...

ـ لست آسفاً إلا لأنك هنا. أشعر بالذنب إيدن. عرض عليَّ ڤيرن أن يضربني على رأسي لأعرف ما هو شعورك.

ـ أهذا ما قاله لك؟

شعرت بالرضى لأن ڤيرن متضايق من أجلها.

ـ لا بأس عليك غريفت، لا أظنه يصل إلى هذه الدرجة.. مهما قال.

ـ أنت لا تعرفينه. إن له طبعاً وحشياً حين يغضب. أتعلمين أنه لم يأذن لي بقيادة سيارته، فقد رفض أن يعيرني سيارته، فاضطررت إلى استئجار تاكسي.

ـ مسكين غريفت. لقد أفسدت على نفسك دون شك..

أدار لها يدها ووضع خده المصاب على راحتها.

ـ أنا لا أستحق عطفك لأنني كنت متهوراً غير أنني أشكر لك عطفك.

ـ كان كلانا متهوراً.

هز رأسه بعد هذا التعاطف منها: «ليتني كنت المصاب».

ـ وما ينفع هذا؟

ـ لو كنت المصاب لرضي ڤيرن. إنه يعاملني الآن وكأنني مجنون خطر يجب وضعه في حجر، وهذا رأي الجميع على ما يبدو، فحتى تلك الطبيبة منعتني من عيادتك، لأنها اعتبرتني خطراً.



ـ أوه.. ما هذا الهراء!

ـ كيف أُذن له بالدخول وحُرمت أنا؟ أنا خطيبك وهو من يزورك!

ـ كان يطلب رؤيتي باستمرار.

ـ أَوَ لم أفعل؟

هزت رأسها، مفضلة عدم التقاء عينيه لأنها لا تعلم كم تستطيع التظاهر بأنها لا تنظر إلى ڤيرن أكثر من كونه شقيقاً لغريفت.

ـ آسفة غريفت.. لكنني صدقاً لم أتوقع أن يكون هو زائري.

ـ لكنك لم تبعديه!

وكيف تبعده وهي كانت أكثر من مستريحة لرؤيته سالماً:

ـ سرَّني أن أرى وجهاً أعرفه.

ـ أوه.. اللعنة.. لماذا لا يتهور هو فتصاب فتاته في رأسها!

لكنه سرعان ما ضحك بعدما شاهد تعابير وجهها الساخطة.

أمضت إيدن أربع ليالي، وأربعة أيام في المستشفى، وكانت تتوق إلى المغادرة قبل أن يقرّر أحدهم أن تمكث وقتاً أطول.

ما أن أُذن لها بالمغادرة حتى أجرت اتصالاً هاتفياً سريعاً بمنزل آل هوفمان، فوعدتها السيدة بأن يأتي أحدهم ليقلّها.

ساعدتها الممرضة التي أدخلت لها الحقيبة، على ارتداء الفستان الذي أرسلته السيدة هوفمان.. قالت الممرضة وهي تحدثها بحبور:

ـ هاي عزيزتي، عندك شيء مميز، فجميع الشبان يتحلقون حولك.. أشعرك الأصهب وعيناك الخضراوان السبب؟

نظرت إليها إيدن باستغراب.. فالممرضة تعرف غريفت، لأنه كان يغازلها بطريقة فاضحة كلما جاء للزيارة.

ـ بكل تأكيد السيد غريفت هوفمان هو من جاء يقلّني.. أليس كذلك؟

ـ أهو من كان يأتي سابقاً؟ إذن ليس هو حبيبتي.. فهذا الرجل أكبر سناً، لكنه رائع مثل الآخر.

فجأة أحست إيدن بالتوتر، فقد علمت أن ڤيرن هو من ينتظرها.. فمسّدت فستانها، ووضعت يدها على اللصوقات التي تزين جبهتها الآن عوضاً عن الضمادات. ما أغباها لأنها تشعر بهذه الطريقة، ولكن من السهل عليها تذكر دفء ذراعي ڤيرن عندما ضمتاها وهي مستلقية على السرير، أو تذكر تلك اللمسة المفعمة بالرقة.

سألتها الممرضة:

ـ هل أنت على ما يرام؟

هزت إيدن رأسها.. ثم أرشدتها المرأة إلى حيث ينتظر ڤيرن وهناك غمزتها قائلة:

ـ أرأيتِ ما أعني؟ وداعاً حلوتي..

عينا ڤيرن الرماديتان أمعنتا النظر فيها عن كثب تراقبان بين أشياء أخرى، اللون المشرق على خديها.

ـ هل لنا أن نذهب؟ (سألها)

وضع يده تحت ذراعها فرحبت بحركته مسرورة.

كانت المرة الأولى التي تراه فيها منذ ليلة الاصطدام، وهذا ما أعطاها شعوراً غريباً مثيراً. لم يكن حتى الآن قد سألها عن حالها أو شعورها، ولعله ينتظر أن يغادر المستشفى. وهذا ما تأكدت منه بعد لحظات من خروجهما.

ـ هل أنت على ما يرام؟

ابتسمت:



ـ أشعر بعدما غادرت المستشفى أنني بخير. قدماي غير ثابتتين بعد رقدة السرير الطويلة، غير أنني لفرط سعادتي بالخروج أشعر برغبة في الرقص!

ابتسم، ساخراً بحماسها:

ـ هل أحسنوا معاملتك؟

ـ نعم أحسنوها لكنني لا أحب المستشفيات، وكنت أخشى أن يأتي أحدهم فيقول إن عليَّ المكوث مدة أطول.

ـ أعتقد أنك لا تعرفين ما هو خير لك.. ما زلت تشعرين بالصدمة لذا عليك طلب الراحة والهدوء.

ـ أجل.. أعرف.. لكنني أخاف مثل هذه الأماكن ولا أدري السبب.

ابتسم:

ـ أنت مخلوقة صغيرة عجيبة.

في طريقة كلامه ما أوحى أنه يعاملها كطفلة.

ـ لم أكن أنتقدك.. أنت فتاة جميلة، رغم...

حذّرته بسرعة:

ـ إن قلت العينين السوداوين أصرخ!

فضحك:

ـ كنت سأقول رغم اللصوق على جبهتك.. لكن، يبدو أنه كان حول عينيك اسوداد. هل أساء هذا لكبرياء المرأة عندك؟

ردت بثبات:

ـ لم يكن هناك عينان سوداوان.. إنما غريفت كان يمازحني! كان على وجنتي بضع كدمات وقد شاهدتها أنت!

ـ صحيح!.. حسناً لم تعد هناك كدمات الآن، بل أنت الآن وردية اللون وجميلة كما كنت دائماً.. هه؟

انحنى أمامها ليفتح لها باب السيارة، لكن ضغط فمه الخفيف المفاجيء غير المتوقع على خدها حبس لها أنفاسها. لم يقل شيئاً أثناء دخوله إلى السيارة، ولكن، كان على وجهه ابتسامة غامضة جعلتها متوترة.

ـ فلنذهب الآن.

لو تستطيع فقط القيام بشيء حيال ردة فعلها نحوه لهانت عليها الأمور.

ـ لم أتوقع قدومك.

ـ توقعت قدوم غريفت.

ـ أجل.

ـ أعتقد أنه كان يريد المجيء.. ولكن ليس لديه سيارته، ولا أخالك ترغبين العودة في سيارة أجرة؟

كان يتكلم وكأنه يتحدث عن أمر واقع..

ـ لا أدري ربما معك حق. لكنني أعتقدته آتياً رغم كل شيء.

وجّه اهتمامه إلى قيادة السيارة في زحام الشارع، ثم أدار رأسه نحوها:

ـ آسف لخيبة أملك.

أثناء انطلاقهما ما بين حقول الأناناس المترامية الأطراف، أدار لها رأسه فجأة مرة أخرى.

ـ هل أخبرك غريفت أن من المحتمل أن تلومه الشرطة على قيادته المتهورة؟

هزت رأسها بأسى:

ـ مسكين غريفت.

أدار رأسه ثانية وبحدة وهو يقطب:

ـ مسكين غريفت؟ كيف تشفقين عليه وهو كاد يقتل أربعة



أشخاص بتهوره تلك الليلة، بما فيهم نفسه؟ لا تأسفي عليه إيدن.. إنه يستحق ما سيحصل له، ولعلَّ هذه التجربة تعلمه التصرف كرجل.

نظرت إليه مؤنبة وقالت بلؤم متعمد:

ـ أعرف.. أعرف إنما لا تقسُ عليه فقد يحدث ما حدث مع أيٍّ كان حتى أنت.

انفجاره بالضحك أجفلها:

ـ حسناً.. التصقي به.. لكنك تخطئين إن فكرت أنني أرتكب غلطة كهذه، فأنا لا أخاطر أبداً مثله بحياتي، فما بالك بحياة الفتاة التي أدعي حبها.

ردت بسرعة:

ـ سترتاح الآنسة كورد مانيارد لسماع هذا.

ـ لولا؟ وما دخلها فيما نتحدث عنه؟

ـ تعرف ما أعني.. أنت.. وغريفت يقول...

ـ آه.. أجل.. لكننا تحدثنا سابقاً عن هذا الموضوع. غريفت يعتقد أن قدري أن أكون زوج لولا الثاني. أتظنين أننا سنكون زوجين مناسبين إيدن؟

لم يكن تحدياً غير متوقع فحسب، بل مستحيل الرد عليه. فهزّت رأسها، الذي بدأ يؤلمها، وقالت هامسة:

ـ كيف.. كيف لي أن أعرف؟

ـ كيف لك حقاً؟ أنت لا تحبينها.. أليس كذلك؟

لم تزعج نفسها بالإنكار:

ـ وليس غريباً ذلك بعدما فعلته بي!

رنا إليها بطرف عينيه. ثم أدار السيارة عن الطريق الرئيسية باتجاه المزرعة.. في هذه اللحظة شعرت أنه قرأ أكثر بكثير مما

كانت تعني من ردها. ما إن ولجا إلى طريق أصغر حتى توقف جانباً ليسألها:

ـ أتتكلمين عن ذلك اليوم حين.. ذهبتِ للسباحة؟ أعرف أن ما فعلته لا يغتفر. لقد كان عملاً إجرامياً، لكنها امرأة متهورة تتصرف عن غير تفكير.

مدَّ يده تحت ذقنها وأدار وجهها إليه، ثم أكمل:

ـ لكن هناك ما يتعدى هذا. أليس كذلك إيدن؟ هل هناك حوادث أخرى؟

ردت على مضض:

ـ مرة واحدة حينما كنا في حفلة آل كيمورازس...

تمتم شاتماً بصوت خفيض ثم رأت عينيه تشتعلان غضباً.

ـ وقعت في البركة.. ولكنك لم تقعي؟

هزت رأسها:

ـ فضلت هذا الادّعاء.

ـ لماذا بحق الله..؟

كانت أصابعه رقيقة على خدها، وبقيت عيناه ثابتتين على وجهها المضرَّج. كرّر بإصرار:

ـ لماذا؟ كان الأفضل لو أبلغتِ الجميع بما فعلتْ بك، ولتتحمل النتائج.. لماذا لم تقولي؟

لم يكن هذا ردّ الفعل الذي توقعته منه.. صمتت هنيهة ثم رطبت شفتيها لتقول:

ـ أعتقد.. أنني شعرت بأن.. لها عذراً ما...

ـ وما هو العذر الذي يدفعها إلى تصرّف كهذا؟

ـ ظننت في البداية أنها تعرف... كنت قد تركتك لتوي...

ـ أذكر هذا.. ظننت أنها عرفت بأننا كنا معاً وبأنني عانقتك.



هزت رأسها وقالت:

ـ لا أظنها كانت تعرف شيئاً ولكن حقدت عليَّ منذ أن رأتك ترمقني بنظراتك وأنا في البركة الصخرية. كانت واثقة أنني أو تظن أنني تعمدت ذلك، وأنني كنت أعرف أنك هناك.. وهذا غير صحيح فأنا لا أتصرف...

أسكتها بلمسة خفيفة من يده، ثم لم يلبث أن أمسك وجهها بين يديه الكبيرتين ينظر إلى عينيها المطأطأتين، وإلى احمرار وجنتيها الخفيف ثم قال بنعومة:

ـ أعرف أنك لا تتصرفين بتلك الطريقة وأنا آسف لما حصل.. لكنني لم أكن أعرف أن لولا هناك.

ـ وما الفرق؟ أوه.. إنها غلطتي غير أنني لم أفكر في أن هناك من سيراني.

ـ ما كان ليراك أحد ولولا قلقي عليك لما لحقت بك.

في صوته ما أرسل القشعريرة إليها، وفيه ما جعلها تجرؤ على النظر إليه، لكنها اضطرت إلى رفع بصرها حين أمسك وجهها مرة أخرى بيديه:

ـ لكنني لن أقول إنني آسف للحاقي بك إيدن..

أحست بأنفاسه فارتجفت:

ـ ڤيرن.. أرجوك.. لا تفعل..

تنهد وكأنه لا يرى ما يدعو وجنتيها إلى الاحمرار أو لارتباك العينين اللتين رفضتا النظر إليه.. وقالت له:

ـ ليتك تنسى ما حدث.

ـ لا أعدك بذلك إيدن. حينما رأيتك تحت الشلال بدوتِ لي حورية من الخيال والأحلام.

هزت رأسها تريد التحدث لكنها ندمت لأنها هزته، فقد ومض

ألم كاد يفجرّ رأسها..

- رأسي يؤلمني قليلاً... أنسى دائماً عدم تحريكه.

- يا للمسكينة!

حين لامس خدها مرجعاً خصيلة من شعرها إلى الوراء حبست أنفاسها بسبب خفقان قلبها الواجف، أما هو فاستقرت يده على عنقها قبل أن يرفع ذقنها إليها فكان لا بدَّ أن تنظر إليه بولَه.

- لدى غريفت ما يجيب عنه. كاد يقتلك.

- ويقتل نفسه.. تهوَّر حينما قاد بتلك الطريقة، لكنه اعترف بغلطته وأسف عليها وأنا صدقته.

- تسامحين ثم تنسين.. هه؟ أوه إيدن.. ليتك تتركينه قبل أن يؤذيك فعلاً.

جاءت مرة أخرى النصيحة مفاجئة من جرّاء تصرفها المتهور. وعلى الرغم من ألمها انتزعت وجهها من بين يديه وارتدّت إلى الوراء قائلة:

- أما زلت مصمماً على هذه الفكرة.. ألا تستسلم أبداً ڤيرن؟ أنت تريده في شركتك اللعينة، وتظن بأن دفعي إلى تركه يسهل عليك الأمور.. لماذا تزعج نفسك بالتظاهر بالقلق عليّ؟ ولماذا تهتم لو تأذيت؟

- طبعاً أهتم.. أيتها الحمقاء الصغيرة!

أمسك ذراعها بيد من حديد، وأدارها لتواجهه.

- أتظنين أنني أحاول إبعادك عن غريفت بسبب الشركة فقط؟ أتعلمين أنني لا أستطيع أن أقف متفرجاً على شخص يستغله أحدهم كما يستغلّك غريفت. لماذا تصرين على إغماض عينيك عن الحقيقة؟

- هذا غير صحيح!



قرّبها ڤيرن منه بقوة ذراعيه، ثم ضغطها على ظهر المقعد الجلدي الطري بثقل جسده، واقترب وجهه من وجهها.. تمتمت باحتجاج غير مفهوم سرعان ما اختفى عندما ضمّها إليه بقوة، والذي حدث أنها تعلقت به كما فعلت من قبل خاصة وأنه التصرف الوحيد القادرة عليه.

كان فمه مدفوناً في عنقها الناعم، على النبض الخافق ما بين العنق والكتف. أدارت وجهها فلامست شفتيها الدافئتين عنقه الأسمر حيث شعرت بنبضه يتسارع في أسفله. مرت دقائق قبل أن يرفع رأسه وينظر إليها بعينين تشتعلان شوقاً:

- اتركيه! بحق الله اتركيه! أنت لا تحبينه. اتركيه قبل أن يفوت الأوان!

أحست بلطمة قاسية تلطم قلبها، فقد اعتقدت أن عناقه ما هو إلا وسيلة إقناع.. وضعت يديها على صدره تدفعه وفي عينيها غضب.

- أنا.. لا أتعلم.. أليس كذلك؟ أنت تبذل جهدك لأتركه، وأنا لا أفهم هذا أبداً إلا متأخرة. لماذا تخدعني؟

- إيدن.. بحق الله...

- وبحق آل هوفمان بكل تأكيد.. فهذا أكثر ما يهمك؟ غريفت هو من آل هوفمان.. ويجب أن يذعن، بغض النظر عن رغبته أو عدمها، وتظن السبيل الوحيد إلى انضمامه إلى صفك هو التخلص مني! لكنك مخطىء.. أنت مستعد للقيام بأي شيء حتى تنفّذ مأربك. كيف تتجرأ أن تقول إن غريفت يستغلّني...!

كان صمته أشد شرّاً من انفجار غضبه، لذا عندما استدار ليدير المحرك بسرعة كادت ترتمي في مقعدها.. أثناء اقترابهما من المنزل التفت إليها، ثم غيّر رأيه. فلم تتمالك نفسها من النظر

جانبياً إليه.

قال لها غريفت بعد العشاء تلك الليلة:

- كنت أرغب أن أقلّك بنفسي، لكن جدتي ارتأت أن يذهب ڤيرن.. وتعرفين ما هي عليه!

- أفهم، لكن ليتك ذهبت أنت.

- وهل كان الأمر سيئاً إلى هذا الحد؟ كان متجهماً حين انطلق، لكننا كنا قلقين عليك... أما زلت متوترة منه..؟

- أعتقد هذا خاصة وأنني لا أعرف أين يصنفني. هل أنا برأيه خطيبة أخيه أم مجرد فتاة تسعى وراء المال، مال آل هوفمان؟

لم يحمل كلامها كالعادة على محمل الجد.

- لو عرف ما تكبدّت من مشقات لأقنعك بالمجيء لما قال ذلك.

- لكنه يراني مخادعة. هل واظبت على تمارين العزف أثناء غيابي؟

- في الواقع لم أتمرّن لحظة.

- وهل فقدت الحماسة والإلهام؟

- يمكنك قول ذلك. أجدني كما قال ڤيرن، رأيت ضوء الواقع.

- رأيت الضوء؟

- لقد التقيته في منتصف الطريق.. رافقته إلى المكتب بضع مرات في الاسبوع المنصرم لأرى كيف تجري الأمور بنفسي.

- فهمت.

أحست بالبرد فجأة، فقد أكّد لها ما اتهمت ڤيرن به. لم تغب إلا أربعة أيام، وها هو قد أقنع غريفت بفعل ما يريده منه...

قال لها محاولاً شرح وجهة نظر ڤيرن، بعد إذعانه له:



- لم يعد الأمر مهماً.. حقاً. أعلم أنك تفضلين صديقاً موسيقياً، لكن.. حسناً.. أنا آسف.

انفجر نفاذ صبرها فصاحت به:

- أووه.. بالله عليك غريفت! لا يهمني أبداً ما تفعل. ولكن كيف تذعن بهذه السهولة؟

رد بقلق:

- لكنه لم يلوِ ذراعي. هذه هي الحقيقة حبيبتي! لقد اتخذت قراري بنفسي، وسأهتم بالعمل حتى أرى كيف أتعاطف معه.

رفضت التصديق أنه غيّر رأيه بإرادته.

- حسناً. بما أنك اتخذت قرارك، وما عدت تحتاجني فسأرحل، وهذا ما سيسعد ڤيرن.

- حبيبتي..! ماذا تقولين؟

أمسك كلتا يديها بارتباك، بحثاً عما يدلّ أنها تمزح، لكنها كانت تحس بالضياع.

- لا يمكنك الذهاب.. حبيبتي.. مكانك هنا.. معي.

- إلى متى؟ وهل أبقى هنا حتى بعد زواجنا؟

صمت طويلاً، فشدّت على قبضتيها لأنها باتت تعرف جيداً شأن زواجهما. وقال أخيراً:

- طبعاً حتى بعد زواجنا.. ولِمَ لا؟

لِمَ لا فعلاً؟ ولكن كيف لها المكوث تحت سقف واحد مع ڤيرن القادر على إقلاقها، وعلى إدخالها في حال تنسى فيه وجود غريفت بسهولة. كيف لها قضاء ما تبقّى من عمرها مع إغوائه الدائم. لا الفكرة لا تطاق. رفعت رأسها وقالت له بهدوء:

- لن أستطيع ذلك غريفت.

عبس بسرعة:

- لماذا؟ ألا يعجبك المكان؟

- بلى.. بلى.. يعجبني، ولكننا لن نستطيع العيش جميعنا في بيت واحد.. وأظن ڤيرن يوافقني الرأي.

- لكنه يريدني هنا. وإن بقيت أنا.. تبقين معي. أوه.. كلامك جنون حبيبتي.. أتظنين أنه لا يريدك هنا..؟ بالطبع يريدك.

- غريفت...

قبّلها بشدة ليمنع أي جدال آخر وقال:

- لا هراء بعد الآن. أنت تظلمين ڤيرن العجوز إن اعتقدتِ أنه يريد منا أن نخرج من هذا المنزل. أظن أنه حان وقت توطيد تعارفكما، وربما بعد هذا التعارف الوطيد قد يعجب كل منكما بالآخر.

ضحك.. وكأن الفكرة مزحة.. لكنها ردت:

- قد يحدث هذا...

وليته لا ينتبه للمرارة في صوتها.

* * *



## ٧ ـ هاربة من قلبها

مضى أكثر من أسبوع على مغادرة إيدن المستشفى، خلاله تغيّر نمط حياتها كله. لم تكن ترى ڤيرن أكثر أو أقل مما كانت، لكنه كان يعاملها بطريقة رسمية زائدة، وهذا ما كانت تأسف له أكثر مما تعترف وكانت من ناحية أخرى، ترى غريفت أقل بكثير لانشغاله في الشركة، وكان عليها أن تُدخل في حسابها أمر غيابه كل يوم حتى وقت الغداء. وبسبب هذا أمضت معظم الوقت مع السيدة هوفمان.

في غضون هذا الاسبوع فكرت مراراً أن تقترح على غريفت، أن تعود إلى بلادها، لكن لسبب ما أبقت الأمر سرّاً. ولعلّ هذا السبب يعود إلى خشيتها من ألا يكون معارضاً لسفرها كما كان مصمماً من قبل، وفي قرارة نفسها وعلى الرغم من كل شيء لم تشأ السفر.

مع أن الجدة لم تكن صورة تقليدية للجدة العطوف، إلا أنها كانت ذكية، يقظتها تتحدى السنين، ولكن إيدن شعرت بأنها تولع بها. كانت تحسّ العينين الهرمتين الحادّتين تراقبانها.

- ما رأيك؟

سألتها إيدن هذا السؤال عندما انتهت من ترتيب الزهور.

- لا بأس به أبداً... أنت تليقين بهذا المنزل.

- صحيح؟

تعاطت إيدن مع الرأي بخفة، لكن العجوز لم تكن تمزح.

- كنت مفاجأة سارّة لي يا فتاة!

- رائع.. وأنا سعيدة جداً مدام.

- أنت شابة كاملة، كما أنك امرأة لائقة. لا أنكر أن مثيلاتك قليلات على وجه الأرض، لكن الرجال يفضلنهن.

- لا أدري، لم أفكر في هذا من قبل. لا أعرف إلا أنني كسائر نساء عصري.. أليست كل امرأة لائقة؟

- تعرفين ما أعني يا فتاة.. كم عمرك؟ اثنان وعشرون أم ثلاثة وعشرون؟

- ثلاثة وعشرون.

هزت العجوز رأسها:

- أنت صغيرة قليلاً ربما لكنك رائعة، فلك طريقة مع الرجال لا تدلّ على أنك تريدين استغلالهم. كل ما فيك يدلُّ على أنوثتك، وليس عندك نزعة ذكورية كاذبة، تتظاهر بها بنات عصرك.

رفعت إيدن رأسها مبتسمة:

- لا أعرف ما إذا كان أهلي يوافقونك هذا الرأي.. سيدة هوفمان... كانوا في موطني، يعتبرونني شبيهة بالصبيان.. وهذا أمر حتمي نظراً لنشأتي بين ثلاثة أشقاء.

- وهذا يعني أيضاً أنك كنت المدللة، وهذا أمر جيد لأنوثة امرأة.

أمسكت إيدن بوردة تشذّب ساقها، ثم رفعتها إلى أنفها، وكادت تقع من يدها هولاً حين أكملت العجوز:

- ما أشدَّ سروري بڤيرن!



حدّقت إيدن إلى السيدة لحظة وقلبها يخفق بجنون:

- ڤيرن؟

ابتسمت المرأة، إنما كان في عينيها بريق مكر:

- أعني.. غريفت بالطبع.

أوضحت نبرتها أن الغلطة ليست زلقة لسان. فعادت إيدن إلى عملها، مفترضة أن من الممكن أن تشك العجوز بالرسميات الحالية بينها وبين ڤيرن، لكنها لن تعرف شيئاً.. وسألت العجوز فجأة:

- متى سيكون الزفاف؟

اشتدّت قبضتها على ساق الزهرة:

- لم نحدد موعداً نهائياً.. سيدتي.

شخرت العجوز بسخط، وقالت بحدة:

- هذا ما تقولانه دائماً..؟ لقد حان الوقت لتحديد اليوم لنعرف ماذا نفعل.. هل دعوتِ أهلك؟

- ذكرت لهم أن الزفاف سيكون هنا لا في بلدي..

- إنهم دون شك يسيئون الظن. ألا تتكلمين أنت وغريفت عن الموضوع؟

لفظت أول ما خطر على بالها بيأس:

- فكرنا في الخريف القادم.

ماذا سيقول غريفت حين يسمع هذا؟

ارتفع حاجبا السيدة علامة عدم الرضى:

- ليس حتى الخريف؟ لم يبدأ الصيف حتى.. حفيدي هذا، لا يبدو عاشقاً ولهان؟

- لا أظنه متشوقاً ليصبح زوجاً.. لكن لديه عمل كثير في

الوقت الحالي، لهذا لا حاجة بنا إلى العجلة.

ردت الجدة بحدة:

- إنه أحمق صغير! وإن لم يتحرك قريباً يخسر.

- ليس غريفت بالأحمق سيدتي. قد لا يتفق مع ڤيرن في أشياء كثيرة، لكنه ليس أحمق.

- بل أحمق لأنه يترك فتاة مثلك معلقة لفترة طويلة. أعتقد أنه تخلى نهائياً عن الموسيقى.. أهذا صحيح؟

هزت إيدن رأسها:

- هذا ما يبدو، على الأقل في الحاضر.

- ليس لديه القدرة على الاحتمال..!

التفتت إيدن بحدة إليها:

- أوه.. هذا حكم جائر. ألم تريدي منه أن ينضم إلى الشركة؟

- لكنني كنت سأزداد احتراماً له أكثر لو تمسّك بالموسيقى، وقال لنا أن نذهب إلى... ڤيرن كان سيفعل هذا لو كان مكانه.

- مسكين غريفت.. إنه غير قادر على مرضاتك بأي طريقة كانت. لو أراد أن ينفّذ ما يريد.. فهو أحمق.. وإن فعل ما تريدونه منه بقي أحمق.

ردت المدام بإصرار:

- إنه أحمق إن لم يعرف ما هو موقعه بالنسبة لك..

قطبت إيدن بحيرة:

- كيف؟

راقبتها العينان الماكرتان لحظات، ثم هزت العجوز رأسها، وكأنها اقتنعت بأنها محقة بأمر ما:

- تجدين ڤيرن جذاباً.. أليس كذلك؟



أجفلت، وأحست بتورد وجنتيها.

- ڤيرن.. رجل جذاب وأتصور أن معظم النساء يجدنه كذلك.

- وهل عانقك؟

حدّقت إيدن مرة أخرى إلى العجوز.. فقد كان السؤال مجرد تصريح بأمر واقع. ردّت بحذر:

- لا أحسبه ممن يجد صعوبة في معانقة نساء يرغبن فيه.

شخرت العجوز بنفاذ صبر:

- أوه.. هيا الآن يا فتاة.. أتظنين أنني لا أعرف الدلائل..؟ خاصة طريقة نظره إليك، إلى ثغرك وهو أكبر دليل. ليست نظرته إليك نظرة أخوية، فأنا أعرفه!

أحست إيدن بتشابك أعصاب معدتها، وكانت مستعدة للتخلي عن أي شيء، لتستطيع مغادرة الغرفة..

- تأخذين أموراً كثيرة على محمل المسلّمات سيدة هوفمان.. وليس لك الحق.

- هراء! لِمَ الخجل من الاعتراف؟ لقد قلتِ إنك تجدينه جذاباً.. كما قلت إنه لا يجد صعوبة في معانقة نساء مستعدات لعناقه؟ لماذا أنت مختلفة؟

- لأنني خطيبة أخيه سيدتي؟

- لكنه على غير عجلة للزواج بك.. ولا أظنك مخلوقة باردة الدم.

- وأنا لست على عجلة أيضاً. وليس لهذا علاقة بڤيرن! إن أراد الزواج، فليتزوج السيدة كورد ـ مانيارد!

التوى فم العجوز كراهية:

- تلك المرأة؟ لڤيرن كرامة لا تسمح له بالزواج بامرأة تطارده

بتلك الطريقة. إنه هوفمان!

- وكذلك كان والده!

ضاقت عينا العجوز:

- آه.. أخبرك غريفت بهذا؟

- كانت والدته فتاة عاملة عادية مثلي.. وبما أن ابنك تزوج فهذا يعني أن رجال عائلة هوفمان سريعي التأثر كسائر الرجال العاديين...

- أنت أذكى بكثير مما تبدين يا فتاة.. إنه شعرك الأحمر.. لقد حذّرت ڤيرن.

- ڤيرن؟

رمت إيدن الكلمة بحدة جعلت العجوز تحدق إليها ملياً:

- أعتقد أن ما بينكما أكثر بقليل من مجرد عناق.. وأعتقد أن على غريفت التحرك سريعاً إن أراد أن يؤسس لنفسه عائلة!

جعلتها ضحكتها الماكرة تنتفض مجدداً:

- يجب ألا تتحدثي عن عائلتك بهذه الطريقة أمام غريبة.

- ما دمتِ ستصبحين منا فهذا يعني أنك لست غريبة.. أنا معجبة بك إيدن كاريستر، وإن كنت غير إنكليزية.

كان الاعتراف بطريقة ما مؤثراً.. وقدرت لها ما تكبدت لتعترف.. وقالت:

- لا أدري لماذا يجدك غريفت مخيفة.. أعتقد أن الأمر مختلف مع ڤيرن..

مدّت العجوز لها يدها، تستدعيها إليها، لكن إيدن أحست بالقلق يعاودها. قالت العجوز:

- أنت تدافعين عنه دائماً.



- ألا تتوقعين هذا مني؟

- أتحبينه؟

ترددت قليلاً قبل أن تجيب:

- أجل.. بالطبع.

- ساورني شعور مؤخراً أنك ترغبين في الانسحاب مما يسمى الخطوبة.. هل أنا محقة؟

تساءلت إيدن عما إذا كانت العجوز هي الوحيدة التي لاحظت ذلك، فعضّت على شفتها لحظات، ثم قالت بحذر:

- فكرت... أن أعود إلى بلادي. سأبقى على اتصال.. لكن.. لا أدري.. أشعر أحياناً أن غريفت مشغول جداً في العمل ولن يمانع لو رحلت.

- أتظنين أن عاطفته تبرد؟

- لا أدري.. لا أظن، ليس بالضبط.. لكنني فكرت في العودة بعض الوقت.

- فقط؟

- لا... لا أدري. لم أصل إلى هذا الحد من التفكير.

- هل لي بخدمة؟ (سألت العجوز بخفة)

- طبعاً. إنما إذا استطعت.

- بل تستطيعين إنما السؤال هل يقدر ضميرك الرقيق الحسّاس على السماح لكِ برؤية الأمور بصفاء ولو لمرة واحدة.

- لا أفهمك.

- هذا ما ظننته.. أحب أن أرى ڤيرن متزوجاً ومستقراً. لقد خططت له دوماً للزواج بإنكليزية.. كما فعل والده أول مرة.. لكنني أحببتك يا فتاة.. وأود أن أراه متزوجاً بك.

كانت الصدمة أقوى من أن تفعل سوى التحديق إلى المرأة. أحست إيدن نفسها تهتزّ كورقة شجر، وأكثر ما صدمها هو أن تدرك، أن الجانب العاطفي منها كان ينظر إلى الاقتراح بجدية. وكان قلبها يخفق كضرب الطبول. تمتمت:

- أنا.. لا أظنك تعرفين ما تقولين.

- بالطبع أعرف.. لم يمسَّ عقلي شائبة يا فتاة!

- لكنني موشكة على الزواج بغريفت.

- صحيح؟

تسابقت نبضات قلبها لأنها أدركت أن ڤيرن يعرف شيئاً عن خطط جدته، فهي لا تعتقد أن العجوز تُقْدِم على هذا القول لولا موافقة ڤيرن. عند هذه الفكرة ارتجف جسدها كله، وأكملت العجوز ضاغطة:

- لم يشترِ لكِ غريفت حتى خاتم الخطوبة.. لو كان ڤيرن مكانه لاشترى لك خاتماً ولما شككتِ في ما يشعر به.

لكنها كانت تشك.. فهي لا تعرف أبداً ماذا يعني ڤيرن بعناقه لها أو بسعيه الدؤوب لدفعها إلى ترك غريفت.. فصاحت يائسة:

- لن أتزوج ڤيرن..! رجاءً لا تضيفي شيئاً سيدة هوفمان!

نظرت عينا العجوز إليها بثبات:

- حسن جداً.. لكنك سخيفة جداً.

- أحاول أن أكون منصفة، صادقة ومتعقلة.. أعتقد أن ڤيرن قد يصاب بالذعر إن سمع اقتراحك هذا المتعلق بزواجي به.

- أشك في هذا كما أشك في أن تقولي له!

- لن أجرؤ!

أحست بالرعدة الباردة من مجرد التفكير في أن يعرف.



سمعت صوت باب سيارة في الخارج فرفعت رأسها.. آملة أن يكون غريفت. إنها بحاجة إلى عونه..

دفعت الزهور إلى المزهرية ونظرت إلى السيدة من فوق كتفها قبل أن تغادر الغرفة.. لكن القادم الذي اصطدمت به لم يكن غريفت، بل ڤيرن، فخفق قلبها بعنف حتى كادت تختنق.

- ما بك؟ وكأنك هاربة من شيء؟

- لا.. أنا لست هاربة؟

خرج ردها سريعاً بصوت مقطوع الأنفاس، فاشتدت قبضته على ذراعها:

- أنت ترتجفين كورقة في مهبّ الريح! ما بك؟

- أنا.. كنت مسرعة فقط.. هذا كل شيء.. ظننت القادم غريفت.

- وهرعت إليه راكضة!

بدت السخرية واضحة في عينيه، فهزت رأسها:

- خرجت لملاقاته.. ألم يعد معك؟

لم يردّ فوراً، بل تابع النظر إليها بثبات، ثم تراجع:

- إنه في طريقه إلى هنا.. عذراً.

انتفضت من برودته المفاجئة ثم أحسّت بالانزعاج لأنها تشعر بأنها عرضة للأخطار.

بعد ظهر ذلك اليوم، أثناء وجودهما على الشاطىء، سألت إيدن غريفت:

- لجدتك رأي حقير بلولا كورد - مانيارد، أليس كذلك؟

- ألم أقل لك هذا؟

هزت رأسها. كانت مستلقية تصغي إلى همس الموج وتتساءل

عمّا دفعها إلى ذكر لولا كورد مانيارد. وكان غريفت يسأل السؤال نفسه:

- ولماذا ذكرتِ لولا؟

هزت كتفيها:

- أوه.. لا أدري.. لكن اسمها ورد في حديث قام بيننا هذا الصباح.

- أكنتما تتكلمان عن ڤيرن؟

- كنا نتحدث عن الجميع في الواقع. عنك وعني وعن ڤيرن ولولا. إن جدتك ترفضها أشدّ الرفض.

- لولا امرأة مطلقة.. وجدتي قديمة الطراز تلتزم بالأخلاقيات القديمة.

- أظنني مثلها إلى درجة ما.. إذا أراد الناس الطلاق فهذا شأنهم الخاص.. لكنني شخصياً، لن أرغب في المضي بزواج وفي نيتي طلب الطلاق متى شئت.

ضحكت عيناه الزرقاوان. ومدَّ يده ليحيط عنقها.

- عرفت أنك متزمتة.. وقد برهنت على هذا!

- أوه.. أعرف لماذا تظنني متزمتة. إنما لن يعجبني أن تفكر في الطلاق.

أشاح بوجهه عنها سريعاً، ممّا ذكّرها بمناسبات أخرى كان فيها يشيح وجهه ما إن يذكر الزواج.

- غريفت؟

قعد وأحاطها بذراعه يضمّها إليه:

- أنا لا أفكر إلا في حبك.. أيتها المتزمتة الصغيرة.

ضحك وشدّها بين ذراعيه مجدداً.. فسألته:



- ومتى نتزوج؟

- أفكر في الأمر...

حاولت التخلص من عناقه.

- غريفت، أحاول أن أكون جادة معك!

حين ابتسم مجدداً لم يكن في بسمته الدفء السابق. وقال متذمراً:

- مزاجك مضحك. ما بك حبيبتي.. هل أزعجتك جدتي؟

- سألتني عن موعد الزفاف.

- أوه.. يا الله. ليس مرة أخرى! انسي الأمر حبيبتي، فجدتي لا تفكر إلا في اتجاه واحد.. لكنها ستتعب من التكرار يوماً.

- قلت لها إننا سنتزوج في الخريف.

- ماذا فعلت؟

في صوته حدة لم تحاول تجاهلها.. فقالت:

- لقد رأيت أن الوقت حان لأغير ردي التقليدي، ولكنني لا أراك مسروراً.

- لا أحب أن يزجَّ أحد أنفه في شؤوني ليس إلا.

- حتى أنا؟

لم يردّ في البداية، بل نظر إليها وعيناه ضيقتان. ثمَّ ضمّها إليه، وقال بصوت مخنوق:

- تعلمين كم أحبك.. وسأبرهن لك عن هذا الحب لو سمحتِ لي بذلك. أرجوك لا تحاولي تقييدي بمواعيد وخطط.. هه؟

- لم أحاول تقييدك. ظننت فقط..

- طبعاً.. طبعاً.. أعرف! اسمعي حبيبتي، لا تفكري في شيء

إطلاقاً. دعي كل شيء لي.. هه؟ حافظي فقط على جمالك حين أحتاج إليك..

- وهل أنت بحاجة لي؟

قبّلها بسرعة:

- طبعاً حبيبتي... طبعاً أحتاجك.

- لكن ليس إلى درجة الزواج بي؟

- أوه إيدن.. حبيبتي..! أنت تصعّبين الأمور حقاً هكذا!

قبّلها مجدداً بقوة محاولاً التأثير فيها.

- أنت لا تفكرين في تركي.. أليس كذلك؟

- لقد فكرت في العودة إلى بلادي.

- لا بالله عليك لا ترحلي. أريدك هنا!

- لكنك مشغول جداً، وأنت لا...

- أريدك هنا.

ضمّها بشدة.. ثم زفر زفرة أطارت شعرها:

- حسناً.. قومي بالتخطيط للزفاف في الخريف إذا كان هذا ما تريدينه.

- أحقاً ترغب في الشروع بذلك غريفت؟

هز رأسه ضاحكاً:

- إذا كان هذا يسعدك، فهيا..

في اليوم التالي ذهب غريفت مع ڤيرن إلى المكتب.. ولأنها لم تشأ البقاء مع السيدة هوفمان خرجت إيدن إلى الحديقة.

كان في الحديقة ممر محدد تفضله على سواه، على جانبيه شجيرات صغيرة تكاد تختفي أمام أشجار الدلفي. كانت في هذه الغابة من الزهور الاستوائية حين وجدت نفسها وجهاً لوجه أمام



ڤيرن. فانفرجت شفتاها دهشة.

- هل أخفتك؟

مرّ صوته العميق على بشرتها وكأنه يداعبها. هنا تحت هذه الأشجار، بدت عيناه أكثر اسوداداً وبشرته أشدَّ اسمراراً. كانت نظرته مركزة على ثغرها، كما قالت السيدة هوفمان بالضبط. بدا حتى في مزاجه البارد المهذّب هذا خطيراً، حساساً، ومثيراً... فشعرت باليأس بسبب استجابتها الحتمية له.

- لم أكن أعرف أنك عدت.. هل غريفت معك؟

سألها بهدوء:

- أتسألينني هذا السؤال لصرفي عنك مجدداً؟

- لا أفهمك!

- أوه.. أظنك تفهمينني إيدن.. أما بالنسبة لغريفت فقد وصل، أما أنا فشعرت أن بي حاجة لتنشّق بعض الهواء فجئت إلى هنا. لأنني لا أحب ما يشعرني بالاختناق.

- أوه.. أجل.. أفهمك.

جعلها بريق السخرية المعتاد في عينيه تشيح بصرها عنه فسارع يقول:

- وهذا يعني أنك غير عابئة بمزاجي، وستهربين بكل وقار ما إن تتاح لك الفرصة... مسكينة إيدن.. تجدين نفسك معي في مواقف عديدة. أنت لا تحبينني كثيراً؟

- هذا غير صحيح!

أنكرت دون تردد.. فارتفع أحد حاجبيه:

- صحيح؟

هز رأسه، ثم مدَّ يده لها:

- تعالي.. فلنعد إلى المنزل.

لم تتردد في الإمساك باليد الممدودة، لكنها لم تستطع القيام بشيء حيال خفقان قلبها الذي عنف حين أطبقت أصابعه على يدها. سار أمامها على غير عجلة يدفع الأغصان عن الطريق فتبعته متمتعة بوجوده قربها في مكان كان أقل بقليل من المثالي.

سارا ما يقارب نصف المسافة بصمت، ثم التفت إليها ڤيرن فجأة:

- سمعت أن الزفاف سيتم في الخريف.

حين التفتت إليه بحدة، رفع يده بحركة دفاعية:

- لا تغضبي. أخبرتني جدتي.

- كان يجب أن أعرف.

لو لمّحت العجوز إلى خطتها البديلة لما عرفت كيف تواجهه.

حين توقف فجأة واضعاً يده تحت ذقنها ازداد خفقان قلبها:

- ما الذي دفعك إلى هذا القول إيدن؟

لاحظت أن على طرفي فمه خطوطاً قاسية وفي عينيه نظرة عميقة لا قرار لها.. قالت له:

- لأنها هي الحقيقة.

ارتفع حاجبه الأسود مرة أخرى استغراباً ثم عادت يده تمسك ذقنها برقة، فحركت حركته هذه مشاعرها المتوحشة:

- كانت جدتي على الأرجح تدفعك إلى تحديد يوم الزفاف فكان أن بادرتِ إلى قول أول ما خطر على بالك. ثم نقلتِ الخبر إلى غريفت بعد ظهر الأمس على الشاطىء. هل أنا على حق؟

- فلنفترض أنك على حق؟

مدّت يدها لتحرر ذقنها من أصابعه، لكنه أمسك يديها



بسرعة.. وقال بنعومة:

- وهذا ما ظننته.. فمنذ عدتما من الشاطىء ليلة أمس وأنا أراه مراوغاً. إيدن إذا كان يحاول التملّص...

- أوه.. لا.. لا.. إنه لا يتملّص أنا واثقة.

لم تستطع مواجهة فكرة أن يعتقد ڤيرن أن أخاه مجبر على فعل ما لا يريده.. هز رأسه ببطء، وكأنه غير مقتنع.

- شرط ألا يتلاعب بك أو يجعلك تعسة.

في الواقع هو من يرتكب ما يجعلها تعسة، ولكنه لا يعي ذلك. إنه دون شك خبير بفنون الحب أكثر من غريفت، وقد حدث أن كادت تترك نفسها تدنو من خطر جاذبيته الناضجة.

دفعتها ذكرى تلك اللحظات إلى التهور، فرفعت نظرها إليه بأهداب متثاقلة:

- ماذا تفعل لو اكتشفت أن غريفت يحاول أن يجعلني تعسة ڤيرن؟

لم يقل، ولم يفعل شيئاً إلا الشدّ على يديها، ثم ابتسم:

- ماذا أفعل؟ سأتزوجك بنفسي.. طبعاً.

حبست أنفاسها، وتضرّج وجهها بحمرة الخجل، ولو استطاعت لابتعدت عنه، لكنه ما زال يمسك يديها:

- ڤيرن...

عاد ليشدّ قبضته على يديها ثم لم يلبث أن وضعهما في دفء صدره العريض، حيث أحست بضربات قلبه الثابتة. وتمتم:

- إن حاولتِ المزاح عليك الاستعداد لتلقي المثل.. أظنك ما زلت تريدين حصتك من الحلوى لتأكليها.. أليس كذلك؟

جذبها إليه حتى أحست بنبضاته ترسل الخوف إليها. تلك

النظرة المألوفة المشبوبة بالرغبة كانت تحرقها وهو ينحني ليعانقها. لمست حيويته المذهلة المشاعر المجنونة التي لا تستطيع أبداً أن تسيطر عليها، فاستكانت بين ذراعيه ورفعت ذراعيها تعقدهما وراء عنقه بشغف ولهفة.

لم تصدق حين وضع كلتا يديه بعد لحظات حول وجهها ليبعدها عنه تاركاً إياها مصدومة حائرة تنظر إليه بعينين خضراوين ضبابيتين بريئتين، فهي لا تعي ما دفعه إلى الابتعاد مع أن نظرته الشغوف ما زالت تطلّ من عينيه اللتين راحتا تنظران حوله وكأنه يصغي إلى شيء ما. ما هي إلا لحظات حتى سمعت إيدن وقع أقدام خفيفة ربما هي لغريفت.. تراجعت، وسارعت تمسّد شعرها قبل ظهوره من المنعطف:

ـ هاي.. ما بالكما؟ هل نسيتما الغداء؟

لم يكن في كلامه أثر للشك، فتساءلت إيدن ما إذا كان غروره بنفسه يحول دون أن يرى أن إيدن قد تنظر إلى ڤيرن نظرة غير أخوية.

احتاجت بعض الوقت للتكيف مع الوضع الجديد لكن ڤيرن استعاد رباطة جأشه وابتسم لغريفت:

ـ سأترككما لتعودا معاً. إنما لا تتأخرا، فقد تكون الجدة منتظرة.. أوه.. بالمناسبة غريفت.. سمعت أن في الخريف زفافاً.

تلاشت ابتسامة غريفت وأخذ ينقل بصره من إيدن إلى ڤيرن.

ـ أوه.. لقد سمعت إذن؟

ـ ليس منكما بالطبع.. أخبرتني الجدة.

ـ لم أجد حاجة لإخبارك.. فهذا أمر لا يعني أحداً سواي



وسوى إيدن.

ـ وجدتي.. مع أنني كنت آمل أن يتم هذا في وقت مختلف من السنة. فلدينا أعمال كثيرة.. متى بالضبط تفكران؟

رد غريفت بهزة كتف غير مكترثة:

ـ لا يهمني متى يكون الموعد.

ردَّ ڤيرن بنعومة:

ـ بل ربما لا يهمك ألا يكون هناك موعد؟

حبست إيدن أنفاسها، وصمت غريفت، أما إيدن فتمنّت لو تنشقّ الأرض وتبتلعها. كانا يتناقشان في أمر زواجها وكأنه مجرد موعد يحشرانه في جدول أعمال الشركة، في هذه اللحظة تمنّت لو تختفي فترة لتفكر في حقيقة مشاعرها. تابع ڤيرن سؤاله:

ـ ليتك لا تفكر في التراجع. فقد راهنت إن تمَّ هذا الزواج.

نظر غريفت على الفور إلى إيدن، لكنها لم تلاحظ سوى نظرة ڤيرن الذي أردف برويّة:

ـ لقد قطعت عهداً على نفسي إن لم تتزوج إيدن أن أتزوجها أنا. فاحذر على نفسك يا أخي؟

ـ ماذا تقول؟

لكن غضب غريفت لم يردع ڤيرن إذ ظهر في عينيه عتمة حارقة وقال ببرود:

ـ سمعت ما قلت!

ثم ارتدَّ على عقبيه مبتعداً.

نظر غريفت إلى إيدن وقد ضاقت عيناه، وظهر عليهما القسوة التي لاحظتها بالأمس عندما كانا على الشاطىء:

ـ ما هذا كله بالله عليك؟

هزت إيدن رأسها..

ليس إنصافاً أن يتركها ڤيرن وحدها تشرح الأمر.. لكن بعدما رأت أن لا اعتبار لمشاعرها هزت كتفيها بلا اكتراث وقالت:

ـ من يدري ماذا يعني ڤيرن؟

وليتها تعرف!

* * *



## ٨ ـ أجراس العرس

عندما تحدثت إلى غريفت لم تستطع إيدن أو حاولت إخفاء قلقها، بشأن الإقامة في الغرين هاوس.. والواضح أنه كان ينوي الاستمرار في الإقامة هناك، مهما حدث. في الظروف العادية ما كانت لتمانع على الأرجح.. لكن في ظل هذه الظروف التي لا تكاد تكون عادية فلا تستطيع إلا الرفض فإقامتها في المنزل قد تؤدي إلى مصاعب عديدة وهناك مشكلة تراءت لها مؤخراً وهي تتعلق بغريفت الذي تشعر بأنه لم يعد يعتبرها مهمة علماً أنه ما زال متمسكاً بها بكل ثقة. ثم هناك مسألة العيش على تقارب شديد مع ڤيرن سنوات طويلة، وهذا وضع لن تستطيع مواجهته بسهولة، مهما كانت الظروف.

ـ لا أفهم سبب هذه المشاحنة. أنت تحبين المكان؟..

ـ طبعاً أحبه!

ـ تعرفين مشاعري تجاه المنزل العتيق كما تعرفين أن فيه غرفاً عديدة وهو إلى ذلك مريح، فأين المشكلة؟

حرّكت كلتا يديها في إشارة يأس وسعت للتعقل:

ـ أنا.. أريد أن يكون لنا بعد الزواج منزلاً خاصاً بنا.. هذا كل شيء.. سبق أن ناقشنا هذا الموضوع غريفت.

ـ أعرف.. والأمر الآن لا يبدو لي معقولاً أكثر مما كان!



www.elromancia.com

فلماذا هذه الضجة الكبرى بحق الله؟

* * *

بدأت الأمور تحدث بسرعة محيرة في الأيام التالية.. ووجدت إيدن الأحداث أقسى من أن تلاحقها.. كان غريفت يغلي إثارة منذ عاد من الحديقة برفقة جدته. شعرت إيدن بأن هناك ما حدث وذلك ما إن رأت عينيه اللتين كانتا تومضان في وجهه المتضرّج احمراراً وكأنه مرتبك.. قالت له وهو يرافقها إلى الحديقة:

ـ أخبرني ماذا هناك؟

ـ نيويورك.. أنا مسافر إلى نيويورك لأعمل في فرقة موسيقية عازفاً ثانياً على الغيتار، كل شيء مرتّب!

أحست إيدن أنها ستتقيأ. لكنها تماسكت:

ـ حصلت على عمل في فرقة موسيقية؟ وفي نيويورك؟

ـ أليس هذا عظيماً؟ جدتي تعرف الرجل الذي يملك النادي. كان يعيش على الجزيرة هنا وهو يعرف والدي.. لا أدري كيف تمكنت من هذا، لكنها علمت أنه بحاجة إلى عازف. فعازف الغيتار الذي يعمل عنده ترك العمل وهو الآن بحاجة إلى بديل. عليّ الآن الذهاب إليه. أليس هذا أمراً عظيماً؟

شعرت إيدن أن السيدة هوفمان تدفع الأمور بالطريقة التي تريدها دون مراعاة مشاعرها. أكمل غريفت:

ـ سأمرُّ بتجربة بضعة أسابيع.. بعدها.. لن يقف حائل في طريقي!

من مكان ما، في مؤخرة عقلها المتأرجح التقطت إيدن شيئاً مهماً.. مع أنها لم تكن تفكر بجلاء.



ـ إذن.. لن تبقى في الشركة مدة أطول؟

ـ لا.. وحياتك! أوه.. لن يقلق ڤيرن أو يهجره النوم لهذا السبب، فلست في الواقع هبة من الله للشركة.. أحسبه سيطلق تنهيدة ارتياح لخلاصه مني.

ـ ظننتكما متفقين؟

ضحك غريفت:

ـ أنا بارع في التمثيل.. لكن حتى قدرة ڤيرن على التحمل بدأت تضعف مؤخراً. أرادني في الشركة، وفعلت ما يريد، وهو يعرف الآن مدى خطأه. أربعة أسابيع أخرى، ويتوسلني حتى أسافر إلى نيويورك!

ـ هذا محتمل!

في الواقع لم تكن ساعتئذ تفكر في تأثير سفره في ڤيرن أو في الشركة، بل في حياتها هي. لقد أتت إلى الجزيرة على أساس أنها خطيبة غريفت، لكن أصبح من الواضح مع مرور الأسابيع أن علاقتهما كانت أقلّ ثباتاً مما كانت تظن. مشاعرها ومشاعره تغيرت كثيراً، خاصة مشاعرها وهذا ما جعلها تشكّ في الأمر. هذه القنبلة الأخيرة التي أطلقتها السيدة هوفمان، هي القشة التي قصمت ظهر البعير..

ـ ظننتك، في ذلك اليوم، مصمماً على البقاء هنا...

ضمّها إليه مبتسماً، راضياً عن نفسه:

ـ حبيبتي..! لم أكن أعلم أن شيئاً كهذا مخبأ لي.. آه لا يمكن رفض العرض. هيا الآن إيدن. لا تثبطي عزيمتي. سيتم كل شيء بعد شهر.

ـ سأفتقدك!

قالت هذا متعمدة، لتنزله من عليائه. حين شاهدت التعبير على وجهه، تبيّن لها أنه حتى تلك اللحظة لم يفكر فيها. عبس لحظة.. ثم شدّها بين ذراعيه ثانية وعانقها.

ـ ما هذا الكلام عن افتقادي؟

ـ حسناً.. سأعود إلى بلادي بالطبع. لن أقيم هنا بعد الآن.

ـ طبعاً لن تقيمي هنا لأنك سترافقينني. سنجد شقة في مكان ما سيؤمنها لنا صديق جدتي.

ـ لا.. غريفت!

ـ لماذا لا؟ ما الذي يمنعك من مرافقتي؟

تجنبت ذكر مسألة الزواج في حديثها مع أن المعنى واضحٌ كل الوضوح:

ـ أربعة أسابيع ليست بمدة طويلة. وأنا لن أستطيع مرافقتك إلى نيويورك يا غريفت، كما تعرف.

ـ بل أعرف أنك تستطيعين. لكن ما يمنعك هو ذلك الهراء القديم.. أليس كذلك؟ إيدن. اعلمي أن الناس لا يهتمون أبداً بهذا الهراء!

ـ أنا أهتم والسيدة هوفمان تهتم. إن احترامها لي ثمين جداً عندي.

ـ أثمن من حبي بالطبع!

بدا عليه «التمرّد» وهذا ما يفعله دائماً لكن لم تمضِ لحظات حتى تنهّد مستسلماً:

ـ أووه.. اسمعي حبيبتي، لا تفسدي عليَّ هذه اللحظات العظيمة.. إنها الفرصة التي أنتظرها..

هزت إيدن رأسها تحسُّ بالضياع فجأة.



ـ أجل.. أعرف هذا ولا أريد منك أن تخسر الفرصة.. يجب أن تذهب..

ـ بدونك؟

كان يعرف الردّ على سؤاله ومع ذلك لم يقترح أن يتزوجا قبل أن يسافر.. قالت بهدوء:

ـ هذا عائد إليك.

نظر إليها وكأنه الآن فقط أدرك أنها تعني ما تقوله حقاً.

ـ أستطيع... (قال)

لكنه صمت، والتفت جانبياً، حين لمح ظلاً في الممر قربهما. حين رفعت إيدن نظرها، كان في عيني ڤيرن الرماديتين قلق غريب، وكأنه يعرف ما كانا يتجادلان بشأنه. فحرّرت نفسها من ذراعي غريفت:

ـ آسف لإزعاجي لكما.. لم أكن أعرف أنكما هنا.

نظر إليه غريفت ثم إلى إيدن، بعينين حادّتين ضيقتين. وقال لڤيرن:

ـ انسَ الأمر.. لقد وصلنا إلى موقف حرج على أي حال..!

وقفل راجعاً إلى المنزل دون حتى أن يطلب من إيدن مرافقته.. فسأل ڤيرن بهدوء:

ـ متاعب؟

التفتت إليه تهزُّ كتفيها بقلق.

ـ أظنك سمعت عن سفره إلى نيويورك؟

هزَّ رأسه: «من جدتي. أهذه هي المشكلة؟»

ـ ليست مشكلة بالضبط..

استغربت نفسها لأنها قادرة على الإفضاء بمتاعبها له، فهناك

جوّ من الثقة حوله، أشار إليها أنه نادراً ما يتهرّب من أي موقف، وهي بحاجة إلى هذه القوة في تلك اللحظات. سارت إلى جانبه عبر الممرّ المظلل بالأشجار محاولة أن تتضمن كلماتها مشاعرها كلها.

ـ إنها فرصة رائعة له.. لكنها.. لكنها.. تغيّر كل شيء. أعني كل ما بيني وبين غريفت.. لا يفصله عن السفر إلا أربعة أسابيع وهي مدة لا تمهلنا وقتاً... وهو لا يرى ما يستدعي...

ـ ما يستدعي الزواج لترافقيه.

ـ أنت تراني قديمة الطراز، كما يقول غريفت..

هزّ رأسه نفياً، وكادت تتنهد ارتياحاً:

ـ لا أظن شيئاً كهذا.. لكنني حاولت تحذيرك.. فكان أن فهمت دوافعي بشكل خاطىء. ألم تفعلي؟ لقد آذاك إلى درجة معينة، وقد يؤذيك أكثر.

ـ هذا إذا تركته يؤذيني!

لقد اعتادت أن تهبّ للدفاع عن غريفت ولم تتوقف حتى للتفكير:

ـ ليس الرجل الأول الذي يغير رأيه بشأن الزواج.. ولا أظنه الأخير.

وافق بهدوء:

ـ لا أعتقد.. لكن هل هو الزواج بحد ذاته المهم لديك؟ أم الزواج بغريفت؟

ـ إن أردت الحقيقة.. لا أدري ما هي حقيقة مشاعري الآن.. وأدركت أن هذا صحيح بالنسبة لغريفت.

ـ أهو تردد العروس..؟



ضحكت بارتباك:

ـ هذا ممكن.. لكن هذا التردد طبيعي في النهاية، أليس كذلك؟

ـ كل الروايات الخيالية تقول هذا.

دسّ يده تحت ذراعها بشكل طبيعي عفوي، ثم انحنى ليقبل خدها قائلاً:

ـ ستضطر جدتي للتوقف عن أعمالها لتحاول إصلاح ذات البين بينكما.

أحست إيدن في الأسبوع التالي بأنها تعيش غيبوبة انتقالية، لا تعرف ماذا تفعل، أو ما ستكون النتيجة النهائية للموقف.. أصبح غريفت يتصرف بشكل مختلف نحوها بعدما شفي من غضبه.. وكأنه كان يأمل أن ترضى بما يفكر فيه ولكنه لم يذكر الزواج إطلاقاً. كانت تقول لنفسها مراراً إنها لو كانت تملك شيئاً من التعقل لغادرت الجزيرة إلى أمريكا. لكنها حتى الآن لم تفعل شيئاً حيال هذا. كان بإمكانها أن تعتبر ما حدث فترة خطوبة انتهى أمرها، ولكن المشكلة ليست هنا، بل المشكلة في نسيان ڤيرن وما أصعب نسيانه!

كانت تفكر في هذا الأمر أثناء العشاء في إحدى الليالي وذلك حين شعرت بالسيدة هوفمان تراقبها عن كثب. حين رفعت نظرها إليها وابتسمت هزت العجوز رأسها.

ـ سترتدين الأبيض بكل تأكيد..

التفتت غريزياً إلى ڤيرن قبل أن ترد:

ـ لا أدري سيدة هوفمان.. هناك بعض.. أعني.. قد لا يكون هناك.. إنها مسألة وقت.

ـ وقت؟

ونظرت العجوز بحدة إلى غريفت، نظرة ضيقة جعلته يتحرك بقلق.

ـ ليس للوقت علاقة بأي شيء يا فتاة... الزفاف يمكن إتمامه في وقت قصير وذلك ببعض التنظيم وأنا منظمة رائعة، مع أن بعضكم يراني طعنت في السن كثيراً.

اندفع غريفت ليبرهن أنه الحفيد المحبّ فجأة:

ـ ليس أنا جدتي.

لكن العجوز لم تنخدع، فرمقته بنظرة حادة:

ـ سأطلب من ماري أن تخيط ثوب العرس وهي ستنفذ بسرعة إرضاءً لي.

نقلت بصرها الحاد ما بين ڤيرن وغريفت:

ـ وهذا ما يليق بها كما أعتقد.

احمرّ وجه إيدن، لكنها لم تعطِ غريفت مجالاً للرد، بل نظرت إلى ڤيرن بسرعة وقالت:

ـ طبعاً سيدتي.

ردت المدام برضى:

ـ أجل.. طبعاً.

كشّر غريفت وجهه ونظر إلى جدته متحدياً، مع أنه لم يجرؤ على إغضابها.. وقال ضاحكاً:

ـ هل يجب أن نناقش موضوعاً مزعجاً كهذا ونحن نتناول العشاء؟

نظرت إليه السيدة ثم قالت:

ـ أين الإعاج في مناقشة أمر زواجك يا ولد؟.. تكون محظوظاً



لو تزوجت فتاة كإيدن وستكون سعيداً لو قبلت بك.

ـ سأكون أكثر سعادة لو قبلت أن تحبني فقط.

أحست إيدن بأن رأس ڤيرن يرتفع بحدة.. ثم سأل بهدوء وعيناه على إيدن:

ـ ألا يمكن أن تجمع الأمرين؟ فكّر قليلاً في مشاعرها. ترى ماذا تشعر وهي تسمعك تتحدث عن الزواج بها وكأنه أسوأ من العقاب..

ضاقت عينا غريفت، ثم لمعتا ببريق شرير:

ـ وهل أنت مهتم بها أخوياً؟

وكأن صوته تقليد فظّ لصوت ڤيرن الناعم النبرات. لكن سيطرة ڤيرن على نفسه فاقت كل شيء، أما إيدن فحبست أنفاسها ترقباً لما قد يحدث. أنهى ڤيرن لقمة الطعام التي وضعها في فمه قبل أن يرد:

ـ لا أحب أن أرى فتاة رائعة لطيفة تتأذى. إنها تريد أن تتزوجك، وهذا ما يبدو أنك لا تقدّره جيداً.

تراجع ضاحكاً:

ـ حسناً، حسناً. أستسلم لأجراس الزفاف إذا كان يسعدها. لا داعي إلى تمزيقي ڤيرن بالله عليك.

التفت إلى إيدن يبتسم لها بسحر:

ـ آسف حبيبتي.. سامحيني!

ـ سامحتك.

ولكن أملها خاب حين لم تتخلَّ السيدة هوفمان عن موضوعها المفضل بسهولة وكانت تهيىء النفس للحركة التالية قائلة:

ـ تحضير الثوب هو أول خطوة. أما الثانية فدعوة أهلك.



www.elromancia.com

قاطعتها إيدن قائلة:

ـ سيدة هوفمان...

ـ أوه.. عليك مناداتي بجدتي لتعتادي على الاسم حين يأتي وقت انضمامك إلى العائلة.. حاولي يا فتاة.

أحست إيدن أنها علقت في الفخ، فسحبت نفساً عميقاً وقالت:

ـ حسناً جدتي.

ابتسمت العجوز:

ـ ليس صعباً لفظها. إنما على ڤيرن أن يساعدك حتى تعتادي عليها.

رفعت إيدن نظرها فرأت العجوز تنظر إلى ڤيرن نظرة ذات مغزى، سرعان ما تصاعد الدم إلى وجنتيها أما ڤيرن فكان ينظر إلى جدته هازّاً رأسه وفي عينيه الرماديتين عمق ضبابي مألوف عندها، قال للعجوز بهدوء:

ـ هوني عليك جدتي.. أنت تستعجلين الأمور.. و..

ـ أعرف ما أفعل.. اسمع ما أقول عزيزي.. أعرف ما أفعل..

قال غريفت بتذمر:

ـ ليتني أعرف أنا... فجأة سينطلق هذا الزواج المزاح وكأن لا وجود للغد.

التفت إلى إيدن يسألها:

ـ فليكن في قلبك رحمة حبيبتي.. أيجب أن نمر بهذا كله: الثوب والكاهن، والمراسيم؟

ردت السيدة هوفمان بسخط:

ـ طبعاً سيزوجكما الكاهن.. وهنا في غرين هاوس. يا لك من



مادي غريفت!

تذمّر غريفت بمرارة: «إنني على ما يبدو مجبر على هذا السيرك! أليس لي رأي في الأمر؟»

قال ڤيرن بصوته العميق الهادىء:

ـ عليك أن تقول «أقبل»

ـ شكراً لك..

الوضع يزداد تعقيداً وهي غير واثقة من مشاعرها فكيف الخلاص؟

ـ غريفت. (قالت إيدن)

التفت إليها وراح يقيس مدى العطف النابع من عينيها.. وقال:

ـ خِلتُ نفسي قادراً على إقناعك بالابتعاد عن الأجراس. وكنت سأنجح لولا تدخّل العائلة في الأمر!

تنهد، ثم أشار باستسلام:

ـ حسناً.. تابعوا التحضير للسيرك.. ما زال أمامي أسبوعان حتى أعتاد على الفكرة أو على فعل شيء آخر!

كان كلامه هذا سبيلاً إلى الخلاص، لكن ڤيرن أحبط الفرصة.. فقد نظر إلى غريفت وعيناه متوهجتان بطريقة أرجفت إيدن. قال بغيظ وحنق:

ـ حاول فقط ارتكاب قذارة من القذارات كالتخلي عنها في آخر لحظة... وسأدمرك! أقسم على هذا غريفت!

التهديد في عينيه الرماديتين، والصوت الهادىء المنخفض المليء بالشرّ، أجفل غريفت الذي حدق إلى أخيه بعمق وذهول. ثم نظر إلى جدته قليلاً، ولم ينظر إلى إيدن. ثم صمت والتقط



www.elromancia.com

شوكته ليكمل طعامه.. عضّت إيدن شفتها ونظرت إلى يديها المشدودتين بقوة على الطاولة.. كانت السيدة هوفمان وحدها المبتسمة ولكن في ابتسامتها هذه مكراً وبُعد نظر.

بعد مضيّ يومين وصل صندوق إلى المنزل من ماري، خياطة السيدة. كانت إيدن تتناول فطورها حين استدعتها العجوز إلى غرفتها.. وهذا ما لا يمكن تجاهله.

كان الصندوق مفتوحاً على السرير، والأوراق الرقيقة التي في داخله مرفوعة إلى الوراء. ما إن دخلت إيدن إلى الغرفة حتى التفتت السيدة رافعة ما في داخل الصندوق، تمسك بالمحتويات بين يديها لتراها إيدن، التي أحست بالغصة في حلقها.. فقد كان ما تمسكه أجمل شيء شاهدته في حياتها.. ولكن اعتقادها بأنها لن ترتديه حطّم قلبها.

ـ ارتديه يا فتاة.

أخذته إيدن بوقار. ثم ما هي إلا دقائق حتى وقفت أمام مرآة السيدة العجوز تنظر إلى نفسها.. كان بياض الفستان الناصع يضفي بريقاً وبهاءً على بشرتها العاجية، وكان شعرها الأصهب النحاسي يتناقض معه بشكل مذهل.. شعرت بأنها تنظر إلى فتاة غريبة متوردة الوجنتين، بارقة العينين.

بدا الانفعال الطفولي على العجوز، فبرقت عيناها بدفء غريب. قالت بصوت ناعم:

ـ تبدين جميلة يا ابنتي.. جميلة تماماً.. الاعتماد على ماري الخياطة مفيد، لأنها تعرف ما هو مناسب، وقد أبدعت هذه المرأة وهذا ما سأقوله لها.

مرّرت إيدن يدها على جُونيلة الفستان، وهمست:



ـ إنه جميل فعلاً.

ـ هل أرضاك؟

ـ وكيف لا أرضى؟

واستدارت باندفاع تضمّ العجوز وتقبّلها بحرارة.

ـ لم أشاهد من قبل ما هو أجمل.

ـ فلنأمل أن يعجب ڤيرن!

لم تحاول إيدن التظاهر بأن لسان العجوز قد زلق.

ـ سأتزوج غريفت سيدة هوفمان.

ـ هذا ما تقولينه دائماً... ولكنه غير متحمّس للزواج.. على أي حال.. ستكونين مهما كان من تتزوجينه عروساً رائعة الجمال يا فتاتي.. عروساً تفخر بها عائلة هوفمان.

كانت صورتها تلمع أمامها وكأنها حلم، ولكن سرعان ما التقطت أنفاسها حين انعكست صورة أخرى في المرآة. صورة جسد طويل، دفع نبضاتها إلى التسارع بقوة. في هذه اللحظة حدّقت إليه بعينين ذاهلتين، وشفتين منفرجتين.

كان الباب مواربا، وكان يقف خارجه بالضبط، وجهه في الظل، لكن تلك النظرة المشتعلة الجيّاشة لم تبرح عينيه حتى عندما ولج الغرفة. أما هي فمرّرت يديها فوق حرير الفستان على ثنايا جسدها، فلحقت عيناه حركتها هذه.

ـ إيدن؟

كان صوته العميق خفيضاً حتى كاد لا يبلغ مسمعيها، وكانت ابتسامتها اللاإرادية فاتنة، مثيرة تظهر في عينيها قبل شفتيها.. تحركت نظرته حتماً إلى ثغرها لتتوقف عنده، ولكن السحر انكسر بحركة خفيفة غير مقصودة من السيدة هوفمان، عندها رفعت إيدن

يدها إلى صدرها وكأنها تحاول التخفيف من عنف خفقان قلبها، في حين أن عيني ڤيرن انتقلتا إلى انعكاس صورتها في المرآة قبل أن يلتفت إلى جدته، وعندما تحدث جاء صوته كالعادة عميقاً فيه رنة تبعث الرعشة إلى الجسد.

ـ السيدة ماكدونالد تطلبك على الهاتف جدتي، هل ستكلمينها؟

ـ طبعاً سأكلمها.. لماذا لم تحوّل المكالمة إلى هنا عوضاً عن الصعود؟

أمالت رأسها إلى جانب واحد، ثم ابتسمت بخبث، تلوّح بكلتا يديها:

ـ حسناً.. أعرف السبب. أردت أن ترى إيدن في ثوب عرسها.. أظنني أخبرتك بوصوله.

ـ في الواقع، لم أكن أعلم إن كنت مستيقظة أم نائمة، لذا لم أشأ إزعاجك بترك الهاتف يرنّ في غرفتك أثناء نومك. لكن صعودي إلى هنا كان يستحق العناء، لقد شاهدت إيدن في ثوب عرسها.

كان يفسّر الأمر بطريقة منطقية، لكنه لم يبعد عينيه عن إيدن التي كانت تتلقى منه ابتسامة أطلقت لخفقات قلبها العنان بجنون.

قالت السيدة هوفمان ولمعان الرضى في عينيها:

ـ لقد رأيتها فاخرج من هنا ثم حوّل المخابرة إلى غرفتي.. هيا.. اخرج! ألا تعلم إن من سوء الطالع رؤية العروس في ثوب عرسها قبل يوم العرس؟

سعت عيناه الضبابيتان مرة أخرى إلى عيني إيدن في المرآة، وهزّ رأسه ببطء:



ـ لقد اختلط عليك الأمر جدتي.. لستُ غريفت!

ردت الجدة: «وليتك تكون».

ضاقت عيناه. ولكن العجوز قالت كلمتها ثم راحت تخرجه من الغرفة.

ـ اخرج من هنا، وحوّل المكالمة.. قبل أن تظن مارجي ماكدونالد أنني نائمة.

قبل أن يخرج سعت نظرة أخرى إلى عيني إيدن، فشعرت به يعانقها بنظراته. بعدما أقفل الباب بهدوء خلفه، مرّت لحظات قبل أن تعود إيدن إلى الأرض بلمسة على ذراعها من السيدة هوفمان.

ـ اخلعي الثوب عزيزتي. أرجو أن لا تكوني مؤمنة بالخرافات..

ـ كما قال ڤيرن.. سيدة هوفمان.. لقد اختلط عليك الأمر.. فتلك الخرافة تنطبق فقط على العريس.. ولو ارتديت هذا الفستان يوماً، فلأتزوج غريفت.

رنّ جرس الهاتف قرب سرير السيدة العجوز، بصوت منخفض.. فنظرت إليه المدام نظرة مختصرة، ثم عادت تنظر إلى إيدن ثانية.. كانت عينا العجوز تبرقان بالمعرفة.

ـ سنرى... سنرى!

* * *

## ٩ ـ لا للعودة

كانت إيدن في الأيام التالية مشوشة الذهن قلقة، فهي لم تكن واثقة مما تفعل. كان غريفت يتحدث دون توقف عن عمله القادم غير مبالٍ بشيء آخر، فكان أن ازدادت قناعة بأن عليها إلغاء كل شيء وذلك قبل أن يتمادى كثيراً.

أحزنتها فكرة عدم ارتدائها ثوب عرسها الجميل، لكن أن تخسر فرصة ارتدائه خير من ارتكاب غلطة جسيمة بزواجها من غريفت. والحقيقة أن إصرار السيدة هوفمان هو ما أبقاها في المنزل، هذا عدا تفكيرها في ڤيرن وخسارتها له.

ظهر أحد الأيام وصلت الأمور أخيراً إلى القمة.. ففيما كانت السيدة كعادتها، تخطط للزفاف، شعرت إيدن فجأة أنها لن تستطيع المضيّ في هذه التمثيلية. فهي لا تريد الزواج من غريفت، وكلما أمعنت النظر في الأمر كلما ازدادت ثقتها. قالت السيدة هوفمان:

ـ والآن إيدن... هل راسلت أهلك تطلعينهم على تغيير موعد الزفاف؟

سحبت نفساً عميقاً:

ـ لا سيدتي لم أراسلهم. أريد أن أقول شيئاً!

ـ ما هو يا فتاة؟

راقبتها عينا العجوز الماكرتان وعينا ڤيرن أيضاً، فشعرت



بحاجة ملحّة لوضع ما تريد قوله في كلمات، ولكنها كانت ترتجف ذعراً.

ـ أنا.. أعرف كم تتحملين من متاعب سيدتي ولست إلا شاكرة صنيعك. لقد اشتريت لي فستان عرس جميل جداً.. لكن.. حسناً.. أترين...

قاطعها غريفت بضحكة قصيرة:

ـ ما تحاول قوله لك، إن الزفاف لن يتم.. صحيح حبيبتي؟ لم تعجبني الفكرة قط، وأنتِ مقتنعة بذلك. فلنتخلص من كل الضجيج ونلتزم بالأمور الجوهرية!

ـ اللعنة عليك غريفت!

كان غضب ڤيرن عنيفاً حتى ارتجف غريفت بشكل ظاهر، لكن إيدن كانت تنظر إليه بإثارة، لأنها تشعر بالراحة، فقد انكشف زيف الخطوبة أخيراً وانتهى الأمر.

لن يصدق أبداً أنها مسرورة لحدوث هذا الفسخ، فهو ما زال مقتنعاً بأن غريفت هو من ينبذها، لذا سيعتبر أي قول تقوله وسيلة منها لإنقاذ ماء الوجه. ثم، حين يكون ڤيرن غاضباً كما هو الآن، لا يعود ذلك الرجل الذي يتقبل التعقل.

وضع غريفت السكين والشوكة من يده بتعمّد متوتر، وبدا العناد على قسمات وجهه الوسيم.. فلقد كان واثقاً جداً من أنه كسب دعمها في النهاية..

ـ إيدن تعرف مشاعري تجاه هذا الهراء الذي تدعونه الزواج.

انتقلت عينا ڤيرن إليها.

ـ أهذا صحيح إيدن؟

كان صوته هادئاً، أما عيناه فعاصفتان.

- ليس بالضبط.. لكنني مؤخراً.. منذ أسبوعين تقريباً بدأت أدرك أن غريفت غير متحمس لفكرة الزواج.

رد غريفت بإصرار:

- ولكنني أريدك. أما ما تبقّى من الهراء فلا أحبه.. هذا كل شيء. أريد فقط أن ترافقينني إلى نيويورك بعيداً عن هذا الشجار المتعلق بالزواج.

قاطعته الجدة:

- أتقول إنك لم تكن تنوي الزواج؟ أتقول إنك لم تخطب إيدن يوماً..؟

انخفضت عينا غريفت الزرقاوان.. ثم هز كتفيه بدون اكتراث ظاهر:

- أعتقد هذا.

نقلت العجوز نظرها إلى إيدن:

- لكن أنت إيدن..؟ هل كنت تعرفين هذا... هه؟ هل ظننت حقاً أنك مخطوبة له وأنه سيتزوجك؟

لم تحتمل إيدن فكرة أن شخصاً ما كائناً من يكون، يشفق عليها، فرفعت ذقنها دفاعاً، ونظرت إلى السيدة العجوز.

- حتى أذكى بنات جنسنا قد تكون ساذجة في بعض الأحيان.. ولم أدَّع يوماً العبقرية!

كانَ غريفت ينظر إليها وكأنه ندم على ما قاله، وقال:

- آسف حبيبتي... لكنني لم أعرف أنك تأخذين الأمر على محمل الجد حتى بدأت تتكلمين عما سيكون بعد زواجنا... الخطوبة، قبل مجيئنا إلى هنا.. كانت...

قاطعه ڤيرن بصوت بارد:



- لتتأكد من قدومها إلى هنا.

تورّد وجه غريفت:

- حسناً.. وماذا في الأمر؟ وماذا إن لجأت إلى خداع بسيط؟ لقد نجح الأمر.. أليس كذلك؟

- بلى.. نجح!

قسوة قسمات ڤيرن أظهرته أكبر عمراً. تساءلت ما إذا كان قد حان الوقت لتفضّ شجارهما. يجب أن يعرف ڤيرن أن لا داعي إلى أن يغضب للدفاع عنها، فهي لا تتوق للزواج من غريفت.

حين استجمعت ما يكفي من شجاعة، كان ڤيرن قد عاد إلى شجاره مع أخيه:

- تصرفت بطريقة أنانية في حياتك، ولكن هذا التصرف أقذر ما قمت به حتى الآن!

بدا للجميع أنه يكبح غضبه بشكل مخيف، ولكن أكثر من كان يعي هذا، غريفت.. لذا ظهر في قوله ما يشبه الدفاع اليائس:

- أوه.. بالله عليك! هذا شأني أنا وإيدن.. وهي لا تتذمّر. فلماذا غضبك؟

- إيدن؟

مرَّ الصوت العميق الدافىء بسرعة على ظهرها. واستقرت تلك العينان الضبابيتان ثانية عليها بتساؤل وشفقة، ولكنها لم تستطع تحمّل إشفاقه عليها فوقفت تاركة الشوكة والسكين تقعان من يدها إلى الصحن ثم قالت بصوت أجشّ:

- هذا كله غير مهم.. أرجوك، لا تشغل بالك بي ڤيرن.

صمت ڤيرن، ولكن عينيه لاحقتاها بدهشة أثناء ابتعادها أما غريفت فسارع يقول وهو لا يفهم أنها أوضحت رأيها.

ـ حبيبتي.. إلى أين أنت ذاهبة؟

حين بدأ يقف، التفتت إليه وهي على الباب تسأل:

ـ وما همّك أينما ذهبت؟ أنا لا أريد الزواج بك غريفت.. لكنني أقل اهتماماً باقتراحك البديل.. حين أفكر في الأمر أرَ أنني لم أكن يوماً واثقة من رغبتي في الزواج بك. وأرجوك.. لا تلحق بي!

ـ إيدن!

إنها بداية حسنة وما أرضاها أكثر منها إغلاقها الباب وهو على بعد خطوة منه. مرت لحظة فقط قبل أن يُغلَق الباب، ولكنها في هذه اللحظة، شاهدت يد السيدة هوفمان تمنع ڤيرن من الحركة.

لم تكترث إلى أين تذهب.. أرادت فقط أن تكون وحدها بعض الوقت لتستجمع شتات مشاعرها المشوشة. وقد وجدت أن عليها الرحيل حالاً، فلا حاجة إلى التفكير في الأمر بل عليها التفكير في الخطوة التالية بهدوء وأمان. فكان أن اتجهت إلى ممرها المفضل بين الشجيرات.. لكنها لم تبتعد مسافة قصيرة حتى شعرت بمن يلحق بها.

ـ إيدن!

تجاهلت نداء غريفت منزعجة لأنها لن تحظى بالراحة التي تحتاجها، وتابعت المسير ولكن كان من المحتم أن يلحق بها. كانت تسمع وقع خطواته خلفها، وتشعر بأنفاسه حادة غير ثابتة، وكأنه يركض مما يدلّ على أن جدته عرقلت عليه الخروج.

ـ توقفي قليلاً حبيبتي.. أرجوك؟

تجاهلت نداءه ولم تدرْ رأسها نحوه حتى، بل بقيت تسير حتى تجاوزت أشجار الدفلى العطرة وأشجار الشلال التي راحت أزهارها



الوردية تتناثر على شعرها فتذكرت أنها سارت في هذه الطريق مع ڤيرن وهذا ما جعلها تعضّ على شفتها، قبل أن تهزَّ رأسها لتنتفض مما عليها نسيانه.

أمسك غريفت ذراعها ليجبرها على التوقف:

ـ توقفي إيدن! كفى لعب دور صعبة المنال!

كانت نبرته وعيناه تدل على أنه يتوقع منها الترحيب به، لكنها نظرت إليه بقسوة ورأته للمرة الأولى على حقيقته وما تراه لا يعجبها، لقد كان وسيم الطلعة وجذاباً، وربما هذه بالضبط مشكلته.. فهو يعرف ما يميزه، ويستخدم ميزاته لمصلحته. والمؤسف أنه لم يكن يظهر لها من قبل مدى أنانيته.. قالت بهدوء:

ـ أحب أن أكون وحدي غريفت!

ـ آه... هيا الآن... أريد فقط أن أتمشى معك!

كانت نظرة عينيه تقول إنه يتوقع قبولها.. لكنه حدّق إليها مذهولاً حين قهقهت بصوت مرتفع ويدها على فمها، وعيناها تلمعان بالحقد:

ـ أنت لا تستسلم أبداً.. صحيح غريفت؟

ـ لا أفهمك. بالله عليك. دعكِ من هذا الضحك!

ـ ألا تظن أن الموقف مضحك؟

ـ لا.. لا أظنه مضحكاً بل أستغرب أن تضحكي كالبلهاء في وقت أحاول فيه أن أكلمك بجد!

ـ بجد؟ وهل كنت يوماً جاداً معي غريفت؟

ـ تعرفين هذا! وما زلت.. تباً!

ـ إنما ليس إلى درجة الزواج بي؟

هزت رأسها، ثم استدارت عنه لتكمل سيرها.. لكنها ما إن ابتعدت حتى أمسك بذراعها بشدة، فالتفتت بحدة قائلة:

ـ أذكر.. أنك قلت لي، يوم قدمنا إلى هذا المكان أنك وڤيرن لستما من النوع المزواج.. كان يجب أن أفهم يومذاك إلى أي مدى قولك صحيح، وأن أرى أن ما يُدعى خطوبتنا، لا شيء سوى خدعة حقيرة لأرافقك إلى هذه الجزيرة.

ـ حسناً.. حسناً! اعترفت بهذا.. ألم أفعل؟ أوه.. هيا الآن حبيبتي.. لقد استخدمت الخطوبة طعماً إنما يحق للحبيب ببعض الخدع أليس كذلك؟

ـ صحيح؟ قد تجد هذا سذاجة مني غريفت.. ولكنني صدقت أنني خطيبتك. كانت الخطوبة تمهيداً لـ... أن أتمكن من...

ـ للزواج!

ارتاعت في داخلها على حماقتها.

ـ من الطبيعي أن أفكر بتلك الطريقة!

ـ حسناً! أنا لا أفكر كما تفكرين. حين أقول الحب، أعني أن يشاركني شخص حياتي. لا أن أكون مقيداً بيد وقدم، وبقطعة ورقية!

ـ تعني تريد امرأة تستطيع نسيان أمرها متى رأيت امرأة أخرى أثارت اهتمامك؟ أنا آسفة غريفت، فأنت تعرف كيف أنظر إلى الحب.

ـ تحدثنا عن هذا الموضوع مراراً إنما يجب أن تفهمي أن العلاقة التي تريدينها لن تكون لنا ولكنني لن أتخلى عنك فأنا أحبك.

ـ بل لا تحبني وإن عبّرت عن مشاعرك مراراً لتبرهن لي



حبك، لكن لو كنت تحبني غريفت، لما وجدت فكرة الزواج محنة لك. لا أرى إلا أنك غير قادر على مواجهة واقع ارتباطك بي مدى الحياة. وفي الواقع أشكرك لأنك تكلمت عن فسخ الزواج.

ـ تشكرينني؟ ماذا تعنين؟

ـ أشكرك لأنك تركتني أراك على حقيقتك.. لولا تحديك لعائلتك ورفضك أن يدفعوك إلى الزواج لاكتشفت متأخرة عدم إعجابي بك!

اشتدت قبضته على ذراعها:

ـ أوه.. ألا أعجبك؟ حسناً.. عليك أن تعلمي أنه كان من المستحيل زواجك بي لأنني ما كنت لأقف في دور العريس السخيف مهما كان الدافع! وما من طريقة تستطيعين من خلالها إيقافي أمام الكاهن.

ـ أوه.. هذا صحيح.. أعرف هذا الآن. لكنني تمنيت لو عرفت هذا قبل الآن.

ـ حسناً.. أخيراً انتهينا من المخطط المخادع!

ضحك بلا مرح، وكانت عيناه بارقتين كريهتين وغاضبتين، لأنه كان يفتخر بقدرته على سحر النساء:

ـ يا إلهي! أنت حقاً متزمتة صغيرة.. ولكن خلْتُ نفسي قادراً على إقناعك.. وربما نجحت لولا اصطحابك إلى هنا.

ـ لا أظن.. ما كنت لتنجح وليتني أصغيت إلى نصيحة ڤيرن الذي حذّرني منك ونصحني بالابتعاد عنك قبل أن تؤذيني.. لكنني لم أثق بدوافعه بل ظننته ينظر إليَّ على أنني صائدة للمال.

ـ ڤيرن..؟ هكذا إذن؟ أنت تميلين إليه أليس كذلك؟ بل أنا شبه أكيد منه! أنت لن تتركي ملايين آل هوفمان تهرب منك..

أليس كذلك حلوتي؟ ستغيرين فقط الشريك!

- غريفت، لا تتفوه بما هو هراء!

- لا وأقسم بالله! كانت عينك دائماً على ڤيرن العجوز. لكنك تكونين مجنونة إن ظننتِ أنه يفكر في الزواج أكثر مني. اعتقدت أنني إن لم أتزوجك يتزوجك هو؟ لا.. ما من سبيل إلى ذلك طفلتي! أنت أبعد ما يكون عن طبقته!

- غريفت.. توقف عن هذا أرجوك!

لم تعد قادرة على البقاء هادئة، وأحست برعب لأن الدموع تكاد تنفر من بين رموشها.. أحكام غريفت الجافة جعلتها تدرك أنه على حق، فهي حتى هذه اللحظة لم تكن تعي كم يعني لها ڤيرن. فجأة شعرت بالضياع...

يجب أن تغادر الغرين هاوس في أسرع وقت ممكن، وذلك قبل أن يصل ڤيرن إلى الاستنتاج الذي وصل إليه غريفت فيأسف عليها. فهي لن تحتمل أن ترى نظرة إشفاق أو حنان كتلك التي رأتها حين حطّم غريفت دون رحمة فكرة الزواج بها. إنها لا تريد شفقة من ڤيرن...

ربما لامست هشاشتها الواضحة قلب غريفت الأناني، فقد مدَّ يده إليها، وكاد يضمها بين ذراعيه وهو يتمتم بشيء من بين شفتيه.. لكن إيدن ابتعدت عنه وهرعت راكضة إلى المنزل، لا تعي شيئاً.

عشاء ذلك المساء، كانت إيدن تحسُّ ببعض الهدوء ورباطة الجأش، على الرغم من أن كل عرق وعصب في جسدها كان يرتجف لمجرد التفكير في الجلوس قبالة ڤيرن على طاولة واحدة، بعدما قالت ما كان عليها قوله.. هكذا، نزلت إلى العشاء تنوي



بحزم، أن تقول للسيدة هوفمان إنها ستترك الجزيرة على أول طائرة، وتتمنى أن يتمّ ذلك في وقت ما من اليوم التالي.

لكن، تبين لها فيما بعد، أن من الصعب بل من العسير أن تستجمع ما هو ضروري من شجاعة لتعلن النبأ. كانت تحسّ أكثر من مرة خلال العشاء بنظرات غريفت المترقبة، وكأنه يتساءل ما قد تكون عليه خطوتها التالية. أما العجوز فحاولت مراراً النظر إليها لتلفت انتباهها وهي محاولة تجنبتها حتى شعرت بأنها غير قادرة على الإعلان، دون أن تبدو حمقاء.. ولكن أكثر ما تجنبته النظر إلى ڤيرن، أو باتجاهه خشية أن تضعف فتتراجع عن اتخاذ الخطوات التي ستؤول بها بعيداً عنه وإلى الأبد.

كانت الفرصة مناسبة أثناء استعدادهم لترك المائدة فأعلنت نيتها بصوت واضح النبرات، لم يرتجف إلا قليلاً.

- سأسافر غداً سيدة هوفمان، في وقت ما.

سرعان ما تسمّر الجميع في أماكنهم، فتابعت بسرعة، مقطوعة النفس، تتجنّب العينين الرماديتين اللتين نظرتا إليها بسرعة في محاولة للنظر إلى عينيها:

- وجدت أنني كلما أسرعت في العودة إلى أمريكا كلما كان ذلك أفضل للجميع. لكنني أريد أن تعرفي أنني شديدة الامتنان لك سيدتي لأنك أشعرتني بأنني على الرحب والسعة، ولأنك كنت في غاية اللطف، وقد تمتعت بوجودي. صدقاً تمتعت.

- يا طفلتي العزيزة!

كانت شفقة السيدة وعطفها، دماراً لها، لكنها ضغطت على نفسها مع أن سيطرتها على نفسها وصوتها راح يتزعزع، وكادت الدموع تنسلّ من عينيها اللتين غضّتهما.

- أنا.. أعرف أنك ستتفهمين سبب قراري المفاجيء.. لكن...

ابتلعت ريقها بصعوبة، وهزت رأسها بيأس غير قادرة على إنهاء ما كانت تريد قوله دون أن تجهش بالبكاء:

- بما أن لديّ ثياباً كثيرة أوضبها فهل تسمحين لي؟

- إيدن!

يصعب عليها التصديق أن غريفت قد يكون نادماً.. لكنها في هذه اللحظات لم تكن تهتم به. رنت بطرف عينها إلى السيدة هوفمان فوجدتها تضع يدها على ذراع ڤيرن كما فعلت سابقاً. سمعت تنهيده المستسلم.

قال ڤيرن بصوته الهادىء الجميل الذي كان أول ما وجدته فيه جذاباً.

- طبعاً نفهم..

كان على وشك قول المزيد، لكنه هزَّ رأسه بنفاذ صبر وصمت...

كان الدرج ملاذها الوحيد للهرب فأسرعت إليه، لكن صوت ڤيرن أوقفها بعد خطوات.. ولأنه لحق بها ولأنه تجاهل نصيحة جدته توقفت في أسفل الدرج وهناك أطبقت أصابعه القوية على أصابعها التي كانت تضعها على الدرابزين. أحست كالعادة بالإثارة للمسته.

- ماذا فعلت بشأن حجز مكان على طائرة؟ هل أدبر لك الأمر؟

آلمها اندفاعه إلى مساعدتها في أمر السفر أكثر ، فراح قلبها يخفق بيأس، فيما وقفت الدموع على مآقيها تهدّد بالانهمار من بين رموشها المنخفضة.. وهمست:



- شكراً لك.

لو قال لها كلمة واحدة ليقنعها بالبقاء، ولو لبضعة أيام، لوافقت دون تردد، بغضّ النظر عما هو مخبأ لها. لكنه كان يمد لها يد العودة لحجز بطاقة سفر، وهذا أكثر مما تستطيع تحمّله. سمعته يقول:

- سأوصلك إلى المطار.. أعتقد أنك تفضلين أن أقلّك أنا عوضاً من غريفت؟

هزت رأسها متمسكة بالدرابزين، تنظر إلى الأصابع السمراء القوية التي ما تزال تحيط بأصابعها. لن تراه ثانية بعد رحيلها وما أصعب ما تشعر به من دمار بسبب هذا الرحيل!

- هذا.. لطف منك.. شكراً لك.

- سأهتم بكل شيء.

هزت رأسها، ثم ارتدت على عقبيها مسرعة ترتقي الدرج وذلك قبل أن يلاحظ مدى قربها من الانهيار.

* * *

نظرت للمرة المائة تقريباً وفي غضون دقائق معدودة إلى الساعة الصغيرة قرب السرير، ثم تركت الكتاب الذي كانت تحاول قراءته عبثاً. كانت قد أنهت توضيب ثيابها، ثم غاصت وقتاً طويلاً في المغطس المشبع بعطرها المفضل، ولكنها مع ذلك وجدت الاسترخاء صعباً.

كانت العتمة تسدل ستارها على الدنيا، وكان العطر المعتاد يتناهى إليها من الحديقة ليحضر الأجواء للاسترخاء والنوم. لو كانت ترتدي ثيابها لخرجت تتنزه في الحديقة.. فقد خرجت من

الحمام منذ فترة وجيزة وقعدت في كرسي عميق موضوع قرب السرير مرتدية غلالة نوم حريرية رقيقة خضراء اللون.

كان أقلّ سبب قادراً على دفعها إلى البكاء، لكنها لم تسمح لدمعة واحدة بالتدحرج. فالبكاء لن يحلّ معضلة، وإن ظهرت متورمة العينين في الصباح التالي فسيتكون لدى الجميع انطباع خاطىء عن سبب البكاء.. وهكذا جلست تسند ذقنها إلى يدها، وذراعها إلى الكرسي تفكر في مستقبلهاالذي سيخلو من ڤيرن.

سمعت دقاً خفيفاً مصراً على الباب فوقفت تنظر إلى الباب غير واثقة، فأشد ما سيكون عليها احتماله استقبال السيدة هوفمان. مررت يدها بسرعة على عينيها قبل أن تنادي:

ـ ادخل!

ـ إيدن!

حدقت مذهولة إلى ڤيرن الواقف في الباب، ثم وقفت على قدميها منتصبة، تتذكر بذعر أن ما ترتديه شفاف. كان وجهه في الظل، فالضوء المنبعث من مصباح القراءة قرب كرسيها، امتدَّ إلى بقعة محددة، ولكن ضوءه كافٍ لتلاحظ كيف جالت عيناه عليها بدون تحفظ، ولكن بلطف غريب.

أحست أنها ترتجف وهي تحاول السيطرة على مشاعرها..

قال لها دون أن يحاول الانسحاب:

ـ أنا آسف.. لم أكن أعرف أنك.. شاهدت النور في الغرفة فظننتك مستيقظة.

ـ أنا.. مستيقظة كما ترى.. كنت أستحم.. ولم أزعج نفسي بارتداء الثياب، ولهذا أنا...

كانت ترتجف وكأنها تحسُّ بالبرد.



ـ تبدين جميلة.

زاد الصوت العميق ارتجافها وأرسل قشعريرة إليها أثارت تلك المشاعر المثيرة للاضطراب التي لم تتمكن يوماً من السيطرة عليها.. لكنها حاولت مقاومة الإغراء القصير الذي أحست به وأغمضت عينيها بنشوة، لئلا تفضح حقيقة مشاعرها، ثم لم تلبث أن انتزعت نفسها نحو واقعها، ملوحة يدها بارتباك، قائلة:

ـ من الأفضل أن تدخل...

وقاومت بشدة أن تضيف كلمة لئلا يراك أحد..

علق حاجب أسود واحد، على الدعوة، لكنه فعل ما اقترحت، ودخل الغرفة مغلقاً الباب وراءه بحذر وهدوء. عندما تقدّم إليها، تكورت أصابع قدميها بإحساس لذيذ، في عمق السجادة، وراح قلبها يخفق بجنون متوحش، مما جعلها ترفع رأسها في زاوية غريبة متوترة.

نظر إليها ڤيرن بثبات، ثم ظهرت ابتسامة قصيرة في ظلال عينيه.. وقال لها:

ـ إذا غيّرت رأيك أخرج، فليس عسيراً عليَّ فهم أسباب قلقك. لقد مرَّت بكِ أوقات عصيبة مؤخراً.

ـ لست قلقة.

كانت تتكلم همساً تحت ضوء المصباح الضئيل وراءها حيث بدا حولها الجو هشاً خفيفاً أثيرياً تقريباً. وما زاده روعة رقة الثوب الحريري الأخضر.. ولكن لم يكن هناك ما هو أثيري حول ثناياها التي يداعبها القماش الخفيف ويلتفّ حولها. ولأن ڤيرن لم يحاول مطلقاً التظاهر بأنه لا يراها قالت بصوت خشن:

ـ معظم ما جرى كان غلطاً ارتكبته. أنا لم أرَ غريفت على

حقيقته.. بعدما حذّرتني.

على الرغم من محاولات تجنبه التقت عيونهما، فازداد خفقان قلبها حتى أصبح كالطبول...

- أما زلت راغبة في الزواج به؟

- لا.. بكل تأكيد! لقد عنيت كل كلمة قلتها، ولا أعتقد أنني رغبت يوماً في الزواج منه... لقد انجرفنا إلى ما يسمى خطوبة. إنه فاتن وسيم.. لا أدري لقد حدث ما حدث هكذا.

- أعرف.

اقترب منها، دون أن تلاحظ تحركه ثم مدَّ يده يلامس خدها.. فرفعت نظرها إليه:

- أتذكرين ما قلته لك؟ لقد قلت: إن لم يتزوجك غريفت أتزوجك أنا.

أحست ببرودة فظيعة في معدتها، وكأن قلبها توقف عن الخفقان.. هزت رأسها لحظات تنظر إليه برعب، ثم همست:

- أوه.. لا! أووه.. لا! أنت لم تدخل إلى هنا بسبب... بسبب.. اذهب من هنا!

ابتعدت عنه تلفّ ذراعيها حول جسدها، وتابعت:

- أرجوك.. اذهب من هنا!

- لا.. إيدن.. لن أذهب ولن تذهبي أنت.

عندما لم يتحرك، وعندما لم يقل المزيد، أحست أنها مجبرة على الالتفات إليه لتواجهه ثانية. فكان أن نظرت إليه بعينين قاتمتين متألمتين من بين أهداب كثيفة. مدَّ ڤيرن يده يلامس وجهها من جديد.. ولم تستطع مقاومة الإحساس بالحاجة إلى إراحة وجهها في عمق راحة يده الدافئة.



- انظري إليّ!

نفّذت ما قال، فشاهدت الابتسامة على شفتيه.. كانت مشاعرها تستجيب كما يحدث دائماً عندما تكون معه، وكانت مشوشة الفكر مرتبكة، فانتفض جسدها مستسلماً لما يثيره في داخلها ڤيرن الذي لم يعرض الزواج لمجرد ملاحظة عابرة قالها مرة بدعابة:

- ڤيرن!

إنه يعرف ما تحسُّ به، وكيف لا؟ فها هي أصابعه تتجول فوق خديها وصولاً إلى عنقها.. قال لها بصوت يشوبه الاغواء:

- لست واثقاً إن كنت لا تريدين الزواج بغريفت. لقد نصحتني جدتي بالابتعاد عنك حتى الصباح على أمل أن تكوني عندئذ أقلّ تشوشاً.. لكنني أحسست بأنني بحاجة إلى التحدث إليك.

كانت شعلة الشوق في عينيه مجدداً تذيب أي تحفظ بقي عندها. فجأة أصبحت واثقة، بل موقنة من مشاعرها ومن مشاعره.

- إذن.. تحدث إليّ! (همست له)

انسلّت يده إلى ظهرها تجذبها إليه فاستجابت واستسلمت لضغط ذراعيه اللتين أشعلتا فيها أحاسيس رقيقة وحيوية. فرفعت ذراعيها تعقدهما حول عنقه، غير عابئة بأي شيء.

سبق أن شاهدت هذه النظرة المشبعة في عينيه من قبل. لكنها لم تحس كذلك من قبل بأنها تخشى التجاوب معها. واقترب وجهه منها، فأحست بأن أنفاسها تكاد تتوقف.

بعدما بدا لها أنه الأبد، رفع رأسه ينظر إلى عينيها بعينين متوهجتين كصخر سائل، وهمس لها:

- لن تذهبي؟ لن تتركيني؟ صحيح إيدن؟ لا تعرفين مدى

حاجتي إليك.. ابقي معي!

فكرت أنه يعرض عليها ذات العلاقة التي عرضها عليها غريفت من قبل. لكنها أحست بأنها تريد البقاء معه مهما كانت الشروط.. مع ذلك سألت:

ـ بذات الشروط التي أرادها غريفت؟

حبست أنفاسها وهو يتفرّس فيها لحظات. ثم قال متحدياً:

ـ وهل تقبلين بتلك الشروط ذاتها؟

همست:

ـ أجل.. أجل.. أقبل.

ـ أيتها الفاسقة الصغيرة.. أعتقد أنك ستقبلين!

ضمّها مجدداً، ثم دفن وجهه في شعرها.. أما هي فعقدت ذراعيها حوله ثانية، تضمّ ظهره العريض القوي العضلات متوترة إلى درجة أن كل عصب في جسدها كان يتجاوب.. ثم تأوهت بنعومة، دليل حاجتها الشديدة إليه. وهمس:

ـ سآخذك.. وسأتزوجك، كما سبق أن قلت. حين قطعت لك ذلك الوعد، لم أكن أحلم أن تتاح لي فرصة تحقيقه... أردتك منذ جاء بك غريفت إلى هنا.. وكنت أدعو ربي لئلا يغيّر من طباعه التي أعرفها فيتزوجك، فلو فعل لأضعت عقلي.

ـ صحيح؟

كانت عيناها تمازحانه بلطف، فشدها إليه أكثر فأكثر وعيناه تشتعلان بتلك الشعلة التي لا تقاوم والتي لا تستطيع أبداً تجاهلها، كانت يداه تضغطان بشدة على كتفيها محذراً:

ـ لا تمازحيني كثيراً حبيبتي.. فأنا أطلب منك الزواج.

أثارت كلماته مشاعرها المجنونة التي لن تتعلم السيطرة عليها.



فيما كانت تضع يديها حول عنقه راحت تداعبه مبتسمة:

ـ هل سنعيش في خوف دائم من لولا كورد ـ مانيارد؟

ـ لن تخافي من أحد. لولا تعرف تماماً متى تحلّ بها الهزيمة. وإذا كانت قد أتيحت لها فرصة الزواج بي يوماً يا حبي فقد خسرتها حينما شاهدتك تقفين كالحورية في بركة الجبل. لم أشاهد قط منظراً أجمل فأقسمت عندها أن أنتزعك من غريفت، لو استطعت.

احترقت وجنتاها بنار الإثارة حين تذكرت، ورفعت نظرها إليه مؤنبة:

ـ كيف تستطيع أن تذكرني بهذا؟

ـ وكيف لا أتذكر كلما نظرت إليك؟.. والآن.. أعطيني رداً. تباً لك. هل تتزوجينني؟

ابتسمت إيدن تضغط نفسها عليه أكثر:

ـ سأتزوجك حبيبي.. فأنا أحبك.

ـ وأنا أحبك.

كانت كلماته صدى لكلماتها ولكنه مرة أخرى أصمتها بعناق جائع ملحّ، ثم رفع رأسه ثانية متمتماً:

ـ أنت مغرية جداً. ومن حسن حظك أن جدتي هنا تحرسك. فعليّ التزام ذلك الموعد الذي دبرته غير أنني لن أنتظر حتى ينتهي جهازك..!

ابتسمت بمكر:

ـ أتعلم أنها طلبت مني أن أتزوجك بدلاً من غريفت منذ وقت طويل؟

تراجع ڤيرن ينظر إليها، وبدا واضحاً أنه يعرف:

ـ وأنت رفضت طلبها.

ضحكت وهزت رأسها:

- هذا لأنني ظننتك لن توافق على ما تخططه لك.

- أيتها الحمقاء الصغيرة!

- ڤيرن...

أصمتها ثانياً بعناقه.. في تلك اللحظة من الاستسلام المجنون نسيت كل ما يتعلق بفكرة العودة إلى بلادها، بل في الواقع لم تعد تفكر في شيء.

* * *

www.elromancia.com
مـــر مـــوريـــة